



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المصطلح البلاغي في كتابالصناعتين لأبي هلال العسكري

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص النقد الأدبي و مصطلحاته

إعداد الطالبة:

✓ عبلة معمري

إشراف الأستاذ

✓ أحمد قيطون

السنة الجامعية: 2013-2014

شكـــر و امتنـــان

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه ومن والاه إلي يوم الدين احمده حمدا كبيرا واشكره على توفيقه لي وتقديري على إتمام هذا العمل المتواضع وأرجوه حسن الختام والجزاء.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى مشرفي الاستاد المحترم أحمد قيطون

وإلى الأساتذة:

أحمد حاجي، عمار حلاسة، أحمد بقار، عمر بن طرية

إلى كل من قدم لي يد المساعدة حتى ولو بكلمة

إلى جميع الطلبة .


مقدمة

مقدمــة:

عرفت منذ القديم . البلاغة العربية بأصحابها ومؤلفاتهم والكثير من القضايا التي تنالوها حول البيان العربي، فقد كانت هذه المؤلفات زاخرة بالمصطلحات البلاغية التي كانت ولا تزال منهلا للعلم والمعرفة، وقد شكل المصطلح البلاغي أداة من أدوات الدارس في هذا المجال خاصة وقد وقع اختيارنا على حقبة زمنية تعد من أهم الحقب التي بلغ فيها البحث البلاغي ذروة الازدهار والتطور، فالمتتبع لحركة التأليف في هذا العصر يلمس هذه العناية في جل المصطلحات البلاغية التي تركها السلف للخلف، ومن بينها مصطلحي الاستعارة والمجاز اللذان احتلا منزلة واضحة وكانا محورا للدراسة البلاغية خاصة في القرن الرابع الهجري الذي وصلـت فيه المصطلحات قمة التطـور، ولاقى اهتماما في الدراسات النقدية والبلاغية ذلك من خلال العديد من المؤلفات أبرزها كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري الذي خصصته محورا للدراسة وكان دراسي بعنوان (المصطلح البلاغي في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري) وتناولت الفصل الأول من باب البديع المعنون بالاستعارة.

فقد أتاح لنا هذا البحث فرصة ثمينة للدراسة، كما قدم لنا مادة دسمة ومجالا خصبا، وأبرز الإشكالات التي حاولت تقصي الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة فكان من أهمها التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم الاستعارة والمجاز عند النقاد القدامى، وأبرز الأسس التي بنوا عنها مفاهيمهم لهذين المصطلحين؟
- ما مفهوم الاستعارة عند الناقد، وكيف كان تناوله لها؟
- إلى أي مدى تأثر الناقد بسابقيه وما الجديد الذي أتى به، أي هل كان الناقد مجددا أو مقلدا فيما تناوله؟
- ما الخلفية التي اعتمد عليها الناقد في مفهومه وتحليله لهذا المصطلح؟

- هل وفق الناقد بالإلمام بالموضوع أم أنه لم يترك بصمته الخاصة؟ أما أبرز الأسباب لاختيار الموضوع تمثلت في:
- إبراز أثر الدراسة البلاغية لجهود البلاغين في تناولهم للاستعارة و المجاز.
- بيان أهمية التحليل المصطلحي في الدرس البلاغي وهما الاستعارة والمجاز.
- تتبع هذين المصطلحين، وذلك للكشف عن التغيرات الطارئة عليهما.
- الكشف عن أهمية الاستعارة والمجاز في الكتابات البلاغية.
- بيان ما تناوله الناقد في تحليله للاستعارة و الهدف من وراء ذلك.

من أجل انجاز البحث والإجابة عن الإشكالية بطريقة منهجية والإلمام بجوانب الموضوع تحليلا ونقدا ذلك بالاعتماد على جملة من المصادر والمراجع أبرزها مدونة البحث المتمثلة في كتاب الصناعتين، إلى جانب الكتب النقدية والتراثية منها: البيان والتبيين، والحيوان، والعمدة، أسرار البلاغة، تأويل مشكل القرآن، بالإضافة إلى الكتب الحديثة البلاغة تطور وتاريخ لشوقي ضيف، مفهوم الاستعارة لأحمد عبد السيد الصاوي، تاريخ النقد حتى القرن الرابع الهجري لمحمد زغلول سلام... الخ.

وقد قسمنا بحثنا إلى مدخل و فصلين ضم المدخل مفهوم المصطلح وأهميته، والوقوف عند نشأة الناقد و منهجه في كتاب الصناعتين، وتناولنا في الفصل الأول دراسة مصطلح الاستعارة والمجاز وتتبع هذين المصطلحين عند النقاد القدامى، أما الفصل الثاني خصصناه لدراسة مصطلح الاستعارة في المدونة ماثلين أمام الشواهد التي دعم بها الناقد دراسته، لننهي هذا البحث بحوصلة للموضوع والوقوف عند بعض الملاحظات والاستنتاجات الخاصة به، وقد كان المنهج المتبع في هذا البحث تاريخي ذلك لأن الدراسة تقتضي تتبع هذين المصطلحين عبر فترة زمنية معينة، واتخذت من الوصف والتحليل أدوات إجرائية لتناول هذا الموضوع.

و في الختام لا يسعني إلا أن أحمد الله، و أن أرفع أسمى عبارات التقدير و العرفان لأستاذي المشرف "أحمد قيطون" على قبوله تبني هذا البحث و تتبعه إلى لمساته الأخيرة و على نصائحه و توجيهاته التي لم يبخل علي بها فله مني جزيل الشكر و الامتنان.

الطالبة: عبلة معمري

ورقلة في: 19 ماي 2014

مدخل تمهيدي

مفهوم المصطلح

يعتبر المصطلح من القضايا المهمة التي شغلت العديد من النقاد فأولوا لهذه القضية أبحاثا ودراسات في هذا العلم الذي كان ولا يزال محورا للجدل ، مسببا كثيرا من التضارب في الآراء، وذلك لخضوعه للتطورات الحاصلة على جميع المستويات والتي كانت هذه الأخيرة السبب في حركته وعدم إستقراره، "و المصطلح مهم في تحصيل العلوم، لأنه يحدد قصد الباحث أو المجادل أو المتحدث وكان السلف الصالح يعنون به كثيرا "[1] يقول التهانوي في هذا " إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح. فإن لكل علم اصطلاحا إذا لم يعلم بذلك لايتيسر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلا ولا إلى فهمه دليلا"[2].

"والمصطلح ـ كائنا ما كان ـ إما واصفا لعلم كان أو ناقل لعلم كائن، أو مؤسس لعلم سيكون وهو في كل ذلك يميل إلى الدقة، والضبط لإنبناء غيره عليه ـ أحوج ما يكون ـ ولا يزال العلم بخير ما دقق أهله التفكير والتغيير، ولا يزال البحث بخير ما اقتحم أهله المجهول للكشف والبحث عن الحقيقة "[3].

من خلال ما سبق نستنتج أن لكن علم مصطلحاته الخاصة التي تميزه عن غيره لذلك يقال المصطلحات مفاتيح العلوم أي أننا نميز علم عن غيره بواسطة المصطلحات ." لأن مفاتيح العلوم ومصطلحاتها هي ثمارها القصوى، وهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان مابه يتميز كل واحد منهما عمن سواه وليس من مسلك يتوسل به الإنسان الى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية[4]".

---

[1] أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص1.

[2] التهانوي، "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تح: لطفي عبد البديع، القاهرة، 1963م، ص1.

[3] الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، أربد عالم الكتب الحديث، عمان . ط1، 2009، ص 15.

[4] عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات الدار العلمية للكتاب تونس، 1984م، ص 11.

مفهوم المصطلح و أهميته:

للتطرق لمفهوم المصطلح وجب أن نعرفه كما ورد في المعاجم العربية لفظه مصطلح أنها " الصلاح ضد الفساد... وأصلح الشيء بعد فساده أقامه... وأصلح الدابة أحسن إليها[1]".

نستنتج أن "صلح " تدل على المنفعة والشيء الحسن على عكس الفساد والشيء الضار، ومن هنا يتجسد لنا مفهوم الاصطلاح القائم على الانتفاع والإفادة و الإحسان.

عرف العرب مفهوم المصطلح منذ أواخر القرن الثاني الهجري حينما بدأ بعض الفلاسفة يصنفون رسائلهم في الحدود والرسوم، ولاحظ الجاحظ هذا فقال عن المتكلمين [2] "وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم استقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب إسم، فصاروا في ذلك سلفا لكن خلف وقدوة لكل تابع"[3].

كذلك تحدث الجرجاني عن الاصطلاح فيقول : " الاصطلاح عبارة عن إتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"[4].

الرازي : الذي تحدث عما: " يوجد له ذكر في الشريعة من الأسماء وما في الفرائض والسنن من الألفاظ النادرة ".[5]

ويعرفه القاسمي " العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي يعبر عنها، وهو علم مشترك بين علوم اللغة والمنطق والإعلامية وحقول

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة(صلح)، دار المعارف، القاهرة، تح :عبد الله علي الكبير، م 4، ج 2 ، ص 2479

[2] ينظر الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، ص13.

[3] الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، ج1، ص139.

[4] الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: نصر الدين التونسي، شركة ابن باديس للكتاب، ط1، 2009م، ص 55 .

[5] الرازي،الزينة، ج1 ص56، نقلا عن المصطلح النقدي عند حازم القرطاجني، عباس عبد الحكيم عباس، دار جليس الزمان، 2008م، ص 44.

التخصص العلمي، ويهم هذا العلم المتخصصين في العلوم، والتقنيات، والمترجمين والعاملين، في الإعلاميات وكل من له علاقة بالاتصالات المهيمنة والتعاون العلمي"[1]

فالمصطلح أداة من أدوات التفكير ووسيلة من وسائل التقدم العلمي والأدبي وهو قبل ذلك لغة مشتركة بها يتم التفاهم والتواصل بين الناس عامة، أو على الأقل بين طبقة أو فئة خاصة في مجال محدد من مجالات المعرفة والحياة."[2]

مهما تعددت مفاهيم المصطلح لكن هذه الأخيرة تصب في معنى واحد، هو أن المصطلح أداة للتواصل والتعامل بين الناس، وهو اتفاق جماعة ما على مصطلح ما بغض النظر عن طبيعة هذا المصطلح أو خلفيتة، المهم أنه يؤدي وظيفته التواصلية.

وللصطلح أهمية تكمن في كونه وسيلة من وسائل نشر الثقافة وتسهيل المعرفة ، وهو أداة لتوحيد الأمة والفكر والتطور العلمي والمعرفي، بالطبع يحتاج إلى مصطلحات جديدة تتماشى والتقدم الحاصل في أي مجال من مجالات المعرفة والمصطلح هو الأجدر بالإلمام بالمفاهيم المشتتة في الذهن إلى معاني دلالية واضحة [3].

وللمصطلحات تأثيرات تتصل بالجوانب الفكرية العامة " لأن المصطلح هو صورة مكثفة للعلاقة العضوية القائمة بين العقل واللغة، وتتصل أيضا بالظواهر المعرفية لأن المصطلحات في كل علم من العلوم هي بمثابة النواة المركزية التي يمتد بها مجال الإشعاع المعرفي ويترسخ بها الإستقطاب الفكري ولذلك كانت المصطلحات أولى قنوات الاتصال

---

[1] علي القاسمي، المصطلحية مقدمة في علم المصطلح، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، ط2، 1985م، ص 17.

[2] عبد الرحيم العباسي ، المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع عمان، جوهر القدس، ط1، 2006م، ص 20

[3] ينظر نوح أحمد عبكل، المصطلح النقدي والبلاغي عند ألآمدي ، دار مكتبة حامد للنشر والتوزيع ، عمان ط1 2010م، ص30 .

بين مجالات العلوم البشرية مثلما هي على مستوى الحوار الحضاري بين الأمم والتواصل الثقافي بين الشعوب بمثابة الجسور الواصلة بين اللغات الإنسانية"[1]

كما عبر الناقد كذلك بقوله: " المصطلح نقطة الضوء الوحيدة التي تضيء النص فيما تتشابك خيوط الظلام وبدونه يغدو الفكر كالرجل أعمى في حجرة مظلمة"[2]

فالمصطلح هو لغة التواصل بين الأمم و أساسا لاستمرار التطور المعرفي الذي بفضله تتقدم الأمة أو تنحط وكما يقول ابن جني حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم أي " أن اللغة إنما تواضع واصطلاح لا وحي ولا توقيف"[3]

أهم القواعد لوضع المصطلح:

1. مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللفظة لغة واصطلاحا لأدنى ملابسة.
2. الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد.
3. تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد.
4. التزام ما استعمل أو ما إستقر قديما من مصطلحات علمية وعربية وهو صالح للاستعمال الجديد.
5. تجنب المصطلحات الأجنبية.
6. تجنب تعريب المصطلحات الأجنبية إلا إذا تعذر العثور على لفظ عربي ملائم.

وأبرز الوسائل التي يستعان بها لوضع المصطلح: القياس والاشتقاق والمجاز والتوليد والتعريب والنحت[4].

---

[1] عبد السلام المسدي ، المصطلح النقدي ، مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د، ط)،(د،ت) ص 126.

[2] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث ، الدار العلمية للعلوم ، ناشرون، الجزائر ط1 ، 2008 م، ص 47.

[3] السيوطي ، المزهر في علم اللغة و أنواعها ، دار الجيل ، بيروت، ص 07.

[4] أحمد مطلوب ، معجم مصطلحات النقد القديم، ص 05.

أما شروطه تتمثل في:

1. اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية.
2. اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى.
3. وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.
4. الاكتفاء بلفظ واحد للدلالة على معنى علمي واحد.[1]

نشأة المصطلح البلاغي:

نشأ المصطلح البلاغي " نشأ فطرية متواضعة على شكل ملاحظات متفرقة، لا تجتمع في إطار فكري موحد ، ولا عرف فني خاص، فجاءت ساذجة وغير مضبوطة ضبطا علميا، وعلى الرغم من معرفة العرب بالنقد منذ العصر الجاهلي إلا أنهم لم يعرفوا مصطلحا، ولكنهم عرفوه مفهوما وممارسة جاءت على شكل مفاضلات شعرية كالتي نجدها في مفاضلة النابغة الذبياني بين الشعراء في سوق عكاظ وغيرها"[2]

إذن فالمصطلح البلاغي أو النقد في زمن كان نقدا انطباعيا لا يخضع للقواعد النقدية أي بمعنى لا يوجد استخدام صريح لمصطلح النقد.

"قد شكل القرنين الأول والثاني إرهاصا ومخاضا انتهى بحلول القرن الثالث الذي شهد الميلاد الحقيقي للمصطلح النقدي والبلاغي وانطلاقة التأليف في هذين الحقلين الذي نحى بهما منحا لغويا في بعض المؤلفات، فطغت الدلالة اللغوية في هذا القرن على المعنى الاصطلاحي الذي أخذت تنفصل عنه فيما بعد"[3].

نجد الجاحظ من الذين اهتموا كثيرا بالبيان والبلاغة في كتبه البيان والتبيين والحيوان، " وذكر الكثير من الفنون البديعية غير أنه لم يسق ذلك في تعريفات وتحديدات فقد كان مشغولا بإيراد النماذج البلاغية، وقلما عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغية التي

[1] المرجع نفسه، ص 02.

[2] نوح أحمد عبكل ، المصطلح النقدي والبلاغي عند الامدي ، ص32.

[3] المرجع نفسه، ص 36.

يقررها" وتحدث عن البديع الذي شاع بين شعراء عصره فقال " والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان والراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع والعتابي يذهب شعره في البديع[1]"، من ذلك يتضح أن الجاحظ في كتاباته في البيان والبلاغة، أنه أرسى قواعد البلاغة والذين جاءوا بعده أساسوا مصطلحاتهم على هذه المفاهيم التي أتى بها.

هناك بعض اللغويين في العصر العباسي يشاركون في ثنايا تعليقاتهم على نصوص الشعر والذكر الحكيم وأهمهم ابن قتيبة والمبرد وثعلب، أما ابن قتيبة فإنه نثر جملة ملاحظاته.

وفي كتابه " تأويل مشكل القرآن " صنفه للرد على من يطعنون في القرآن الكريم، فيرون أن به تناقضا وفسادا في النظم واضطرابا في الإعراب"[2]، كذلك كتابه الشعر الشعراء " يتفق فيه مع الجاحظ في الكثير من المصطلحات البلاغية مثل الإيجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والإفراط إضافة إلى اتفاقه معه في نظراته التوقيفية فجعل الجودة مقياسا للشعر"[3]. نجد كذلك كتاب المبرد في كتابه الكامل " ملاحظات بيانية تتخلله و هو في ذلك يعرض نماذج أدبية و شعرية و نثريه متعددة، يتطرق فيها أحيانا إلى ما في الكلام من استعارة أو التفات أو إيجاز أو إطناب أو تقديم و تأخير".[4] وهو بذلك ترك آثار بلاغية بيانية استفاد منها من بعده. كذلك ثعلب صنف كتابا صغيرا أسماه " قواعد الشعر "وعنده قواعد الشعر أربعة أمر ونهي وخبر واستخبار وبعد أن مثل لها تحدث عما يجري فيه من المديح والهجاء

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 55.

[2] شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار الناشر المعارف ، النيل ، القاهرة ، (د ، ت)، ط9، ص56.

[3] إحسان عباس، تاريخ النقد عند العرب، دار الثقافة، بيروت لبنان(د، ت)، ص56.

[4] ينظر، المرجع السابق، ص60.

والرثاء والاعتذار والتشبيه والنسيب واقتصاص الأخبار وراح يعرض لبعض وجوه البلاغة وتحدث عن الكناية والاستعارة.[1]

يعتبر كتاب البديع لابن المعتز من الكتب المهمة في النقد والبلاغة،" حيث جمع الفنون الأسلوبية التي اعتاد الشعراء والبلغاء استخدامها"[2] وتعود لكتابة فتراه يقسم فنون البديع الرئيسية إلى أبواب خمسة هي : الاستعارة ، والتجنيس والمطابقة ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها و المذهب الكلامي.

يقول ابن المعتز في كتابه البديع " ما جمع فنون البديع، و لا سبقني إليه أحد "[3] فالبديع إذا مصطلح لم يتحدد إلى عهده، ولم يتفق النقاد على مدلوله، ولهذا نصب نفسه لتثبيت هذا المدلول وحصره في تلك الأبواب الخمسة وما أضاف إليها بعد ذلك"[4]

بمجيء القرن الرابع شهدت المصطلحات البلاغية والنقدية تطورا ملحوظا كما وكيفا حيث ظهر عدد من النقاد الذين أضافوا الكثير في مسيرة النقد والبلاغة وأبرز هؤلاء ابن طباطبا (عيار الشعر)، نقد الشعر لقدامة ابن جعفر، الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني والموشح للمرزباني ، والصناعتين لأبي هلال العسكري والموازنة للآمدي.

فعيار الشعر " هو دراسة موضوعية فنية لصنعة الشعر وقياس جيده و رديئه معتمدا على ما استمده مؤلفه من دراسات سابقيه من علماء الشعر ورجال البيان " وتدور المقدمة حول أربعة موضوعات أساسية هي تعريف الشعر وصنعته، وفنون الشعر العربي وأساليبه ثم عيار الشعر أو الوسائل التي يمكن التعرف بها على جيد الشعر أو رديئه [5].

---

[1] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص60.

[2] محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية(د،ط) 2002، ص152.

[3] ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، البديع تح: عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت، ط1 ، 1990م، ص58.

[4] محمد زغلول سلام ، تاريخ النقد والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص 154.

[5] المرجع نفسه، ص127.

أحدث ابن طباطبا تطور ملموسا للمصطلحات البلاغية، و إن كان تطويرا نوعيا أكثر منه كميا فضلا عما أبداه من معالجة جديدة في حديثه عن التشبيه فقد تناوله بعمق وتوسع فيه.[1] وكتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر يستهل فيه بأن العلم بالشعر ينقسم إلى أقسام: فقسم ينسب إلى عروضه ووزنه وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته وقسم ينسب إلى علم معاينة والمقصد به، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه، وقدامه كأنه يريد أن يلغي كل ما ألف قبله في تميز جيد الشعر من رديئه أو هو على الأقل لا يعترف بأن أحد كتب شيء يغني بعض الغناء في هذا الموضوع.[2] فقد ذكر عشرين فنا من فنون البديع اتفق مع ابن المعتز في سبعة منها وهي : الاعتراض والرجوع ، والالتفات، والخروج من معنى إلى آخر، وحسن التضمين، والتعريض والكناية والإفراط وحسن التشبيه ... كما تطرق إلى صفات جودة المعاني وصفات رداءتها وأبرز صفات الجودة، التكافؤ والالتفات والمبالغة والتتميم وصحة التقسيم وهو أول من حدد جودة المعنى ونعوت الرداءة، قد تفرد بها وحده، وقد أشار إلى التخليع والتلثيم والترتيب والمبتور، والإخلال والحشو، والمقلوب.[3]

والذي قدمه قدامة بن جعفر في كتابه يدل على الجهد الذي بذله في تطبيق ما فهمه من مقياس البلاغة اليونانية الأرسطية على البلاغة العربية، وما لا نقاش فيه أن قدامه وفق في هذا الكتاب وهو توفيق جعل الكثير من النقاد يهتفون بإسمه في كتبهم وفي مقدمتهم أبو هلال العسكري صاحب الصناعتين والمرزباني في الموشح[4].

---

[1] عمار عبد القادر أبو عمرا ، المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن الإصبع المصري، إشراف ،إبراهيم البعول، جامعة مؤته ،2009م، ص42.

[2] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص80 ـ81.

[3] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (د، ت)، ص22.

[4] ينظر، المرجع السابق، ص92.

أما الآمدي في كتابه الموازنة أشار إلى الكثير من الفنون البلاغية مستعينا بها في الموازنة : ومنها الاستعارة ، والجناس والطباق وحسن الابتداء، والمجاز والإحالة، والمبالغة والإغراق[1]، ونجد أن الآمدي في تطرقه لهذه الفنون البلاغية في تطبيقها على شعر أبي تمام والبحتري أضاف في دراسته لهذه الأشعار اللمسة الذوقية المتميزة.

بالتالي فالقرن الرابع الهجري، كان زاخرا بالمصطلحات البلاغية والنقدية وكثرت فيه الدراسات لهذه المصطلحات التي كانت نشأتها عربية استمدت تطورها من الجهود التي قام بها النقاد في هذا القرن فأصبحت بمثابة المصدر والأصل للدراسات الحديثة حيث سهلت الطريق للنقاد المحدثين فكانوا يعتمدونها في جل دراساتهم.

نشأة الناقد ومنهجه:

أبو هلال العسكري هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران صاحب الصناعتين، وهو تلميذ أبي أحمد العسكري وابن أخته، وينتسب كلاهما إلى عسكر مكرم ، ويبدو أن أبا هلال نشأ في هذه الناحية وليس لدينا من أخبار الأولى من ذلك إلا أنه كان يتزر احترازا من الطمع والدناءة، وكان موصوفا بالعلم والفقه، والغالب عليه الأدب والشعر، وقد روى عنه أبو سعد السمان الحافظ وغيره.

أما وفاته فلم تؤكد المصادر تاريخها، وقد أفاد ياقوت بأنه لم يبلغه شيء في وفاته ، إلا أنه فرغ من إملاء " الأوائل" يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان 390هـ.[2]

مؤلفاته:

1. جمهرة الأمثال
2. كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر.
3. ديوان المعاني في اثني عشر بابا.

---

[1] الآمدي، الموازنة في شعر أبي تمام تح :أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط 2، ص57.

[2]أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، شر: أحمد حسن سبيع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1994 م ،ص 05.

4. كتاب المعجم في بقية الأشياء .

5. كتاب الزواجر والمواعظ.

6. شرح ديوان أبي مجحن.

7. كتاب الأوائل، أتمه سنة 389هـ، وقيل 390هـ واختصره السيوطي.

مكانته:

أبو هلال العسكري وبشهادة من ترجموا له، أديب بارع متفنن، فقيه وشاعر متفوق وفوق كل ذلك هو ناقد ثاقب النظر، في انتقاداته ، لا يتنبه عما عزم على قوله أي مانع فيما يراه حقا، ونظرياته في الأدب والنقد مبثوثة . خصوصا. في كتابه الصناعتين وديوان المعاني وملخص نظريته في الأدب أنه يبحث على طلب العلم وتعلم الكتابة واشترط للكتاب شروطا وهي إعداد ما يلزم لها من " معرفة العربية لتصحيح الألفاظ و إصابة المعنى والى الحساب، وعلم المساحة والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة وهو إذا يهتم بالكتابة ويطيل الحديث عنها فلأنها ترتبط بالسان وعليها مداره وهي مرتبطة بالخطابة والخطابة بدورها ترتبط بالدين"وللشعر عند العسكري أهمية فهو (ديوان العرب) وخزانة حكمتها ومنبسط آدابها ومستودع علومها ، والعرب تستمد من الشعر كذلك أيامهم ووقائعهم وتواريخهم، والشعر من المصادر التي تضبط من خلاله اللغة.

أما عناصر العمل الأدبي، عند أبي هلال تدور حول أمرين عظيمين ورئسيين اللفظ والمعنى فمن " حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف"ومع شريف اللفظ يشترط عذوبته وفخامته وسهولته ووضوحه وقربه إلى النفس، وعدم مجافاته للأذواق السليمة.[1]

أما أبو هلال الناقد، فإنه ذو بصر حاد ثاقب ولا يدع شاردة أو واردة إلا وينبه إلى ما فيها من مواطن الضعف أو القوة والقبح أو الجمال، دون مراعاة أو محاباة وسخرية لاذعة في كثير من الأحيان.

[1] ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، ص 76

في قول امرئ القيس في وصفه للفرس:

وَللّسَّوْطُ أَلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دِرَّة   وَلِلزَّجَرِ مِنْهُ وَقْعٌ أَخْرَجَ مُهْذِبِ

يعلق أبو هلال عليه قائلا : " فلو وصف أخسّ حمار وأضعفه ما زاد على ذلك"[1] ومن هنا نستشف براعة الناقد ونظره الثاقب وقدرته على التمحيص والتدقيق، وكيف أنه علق على بيت ذا القروح الشاعر الموهوب فعندما نقرأ البيت نرى أنه يتحيز بأسلوب جميل وألفاظ قوية ووصف دقيق، إلا أن قراءة الناقد اختلفت ورأى أن هذا البيت يمكن نصف به حتى حمار خسيس وضعيف فهذا نوع من السخرية لأن الحمار هو أضعف الحيوانات وأقلها نشأة.فبجانب النقد كان هذا المؤلف ذا شاعرية مفلقة، ذا إحساس مرهف لذلك جاء ما يبهر به شعراء عصره وغيرهم، فكان شعره قوي الرصف، حسن الديباجة، عليه طلاوة تجعله محببا إلى النفس لا تهجنه الأذن ،وقد ارتبط شعره بعوامل اجتماعية أو طبيعية واقعية.[2]

كتاب الصناعتين:

المتصفح لكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري يجد أن صاحبه قد وضعه لهدفين اثنين أحدهما تزويد الكتاب والشعراء بقواعد تعليمية على ضوئها يتخلصون من العزلة التي آلو إليهما، حيث ضاقت بهم السبل وسدت في وجوههم طرق الإبداع والابتكار حتى تحولت هذه الحالة إلى أزمة حادة يعيشها كل من الشاعر الكاتب في تلك الفترة بالإضافة إلى تبصيرهم بأصول الكتابة وإطلاعهم على الطرق الصحيحة السليمة للتعبير والنظم ولم يكن هو الكتاب الوحيد في هذا المجال بل هناك كتب على شاكلته ترمي إلى نفس الهدف وتبحث الموضوع نفسه وإن كانت طريقة الطرح فيها تختلف من مؤلف إلى آخر، من هذه الكتب " أدب الكاتب" لابن قتيبة " أدب الكاتب" " لابن درستويه" " والألفاظ الكتابية " لقدامة والهمذاني. والهدف الثاني من تأليفه للكتاب يعود إلى إظهار إعجاز القرآن وفهم ومعرفة

---

[1] المصدر السابق ، ص75.

[2] أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص 7.

أسرار الجمال ونواحي التفوق التي تفرد بها كتاب الله وطرح قضية الإعجاز في القرن الرابع بهذه الحدة يعود إلى انتشار أفكار هدامة مصدرها مذهب " الصرفة" كما بينت في فصل الخطابي وإعجاز القرآن قالوا: هلال العسكري من الذين دفعتهم عقيدتهم الصادقة للرد على هؤلاء المتشككين وسلاحه في ذلك هو اللجوء إلى علم البلاغة وتوضيح قواعده واستجلاء مكوناته حتى يكون هذا العلم الوسيلة الأساسية إلى إدراك الإعجاز [1]، فيوضح أبو هلال العسكري في كتابه الأسباب الرئيسية التي دفعته إلى إعطاء الأهمية القصوى في معرفة البلاغة وذلك لسبب واحد إدراك إعجاز القرن تحدث بقوله في بداية مقدمة الكتاب"... اعلم علمك الله الخير. و ذلك عليه وقضية لك وجعلك من أهله أن أحق العلوم بالتعليم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله عز و جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة التي رفعة أعلام الحق، وأقامت منار الدين، و أزالت شبه الكفر ببرهانها وهتكت حجب الشك بيقينها[2].

كتاب الصناعتين قسمه إلى قسمين كبيرين، مقدمة ومجموعة فصول في فنون التعبير المختلفة كالإيجاز والإطناب، والسرقات، والسجع، والازدواج، والبديع وأنواعه.ويذكر في كل هذه الأنواع ما يحسن وما يقبح وقد أفراد الباحثون دراسات له ولصاحبه، وبدأ بالمقدمة أشار فيها إلى أهمية دراسة علم البلاغة، لأنه بواسطتها يمكن التعرف على إعجاز كتاب الله تعالى ، كذلك هو ضروري لطالب العربية والمتأدب بأدائها لمعرفة جيد الشعر والنثر من

---

[1] الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي في القرن الرابع ومدى تأثرها بالقرآن، مركز منشورات جامعة باتنة، الجزائرص322.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: مفيد قميحه ط1، 1981م، ط2، 1984م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ص 09.

القبيح وهو ضروري للمنشئين من الشعراء والكتاب فهو يقوم على جانبين أدبي وديني ، وقد دفعه إلى تأليفه ما رآه من تخبط العلماء السابقين من أمثال الأصمعي و الجاحظ[1].

منهج أبي هلال :

اعتمد أبو هلال العسكري في كتابه على صناعتين إذا مزج بين النقد والبلاغة وجمع بين المنهجين المنهج التعليمي وغايته إخضاع صناعتي الشعر والنثر لقواعد ومقاييس معينة مطالبا الأدباء بالتزام هذه القواعد والاهتداء بها والمنهج النقدي هدفه الجنوح به والاعتماد على الذوق في إصدار الحكم على الفن الأدبي أكثر مما يعتمد على علم ذي أسس و أصول ، فكما أن صاحب الصناعتين بهذا الاتجاه قد جعل من عمله هذا معلما وناقدا فهو معلم بالقواعد البلاغية وناقدا في حكمه على الآثار الأدبية[2] وهنا لابد من التميز بين البلاغة والنقد كما يقول بدوي طبانة " ... ومنهج البلاغة منهج تعليمي ، إذا أنها تشريع للأدب تفترض أن الأديب لديه ما يريد أن يقول من الأفكار والمعاني والأخيلة ثم تعلمه كيف يعبر عنها ومعنى ذلك أنها تعنى في الغالب بناحية الصياغة والأسلوب"[3]وأبو هلال العسكري في هذا الكتاب لا يأتي بالقواعد البلاغية مجرد عن هدفها وغايتها ولا يترك الاستنباطات والاستنتاجات لغيره إنما يقدم الفائدة التي تجنى من هذا العلم نفسه بعد أن يمررها على قاعدته النقدية المتمثلة في الملكة المتشبعة بالقرآن وتحليلاته وتعريفاته المختلفة التي تترك الإنسان الدارس يستفيد في دراسته وحكمه على الأشياء ، حكما موضوعيا من جميع الجوانب فالقرآن قد غذى في أبي هلال جوانب متعددة الجانب المنطقي الجانب التذوقي والجانب

---

[1] محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري ، دار المعارف الاسكندرية، القاهرة ، ط1، 1982 م، ص 307.

[2] المرجع نفسه ،ص 325.

[3] بدوي طبانه أبو هلال العسكري ومقاسيه البلاغة والنقدية، ص 124 نقلا عن إتجاهات النقد العربي وقضاياه الطاهر حليس، ص325.

النفسي والتاريخي والاجتماعي واللغوي لأنه قد عاش في عصر قد وصلت فيه الدراسات القرآنية ذروتها.

الفصل الأول

الاستعارة و المجاز عند القدامى

شغل مصطلح الاستعارة والمجاز، جدلا كبيرا عند النقاد وقد تعددت آرائـــهم وتباينت، وكان لكل منهم آراءه النقدية وحججه في ذلك، فأحيانا تتشابــه، وأحيانا تتضارب، فكان نتاج ذلك تأليف العديد من المؤلفات النقدية والبلاغية في هذا المجال لذلك ارتأينا أن نقف عند مصطلحين بلاغيين هامين من ألوان البديع يعتبران أساسا للبلاغة حيث لا نكاد نجد كتابا بلاغيا إلا وتطرق لهما.

قبل أن نتناول رؤية النقاد القدامى للاستعارة علينا التطرق إلى المفهوم اللغوي والاصطلاحي لها، فالاستعارة:

لغة " تعور و استعار طلب العارية، واستعار الشيء واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه"[1].

اصطلاحا: " أن نذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما تخص المشبه به"[2].

من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتبين لنا أن هناك علاقة بينهما وهي وجود طرفين أحدهما يستعير صفة من الآخر أي ما يصطلح عليه المستعار له والمستعار منه.

الاستعارة عند القدامى:

قد ورد مصطلح الاستعارة في العديد من المؤلفات النقدية والبلاغية، واختلف مفهومها حسب رؤية النقاد لهذا المصطلح و من بينهم نذكر:

الاستعارة في كتابات الجاحظ:

يعتبر الجاحظ من النقاد الأوائل الذين تحدثوا عن الاستعارة، فالاستعارة عنده " هي تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[3] وسماها الجاحظ " بدلا عنده في تعليقه على قوله

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة عور، ج4، ص 816.

[2] أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد القديم، ص 136.

[3] الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1، ص 153.

تعالى: [فَإِذَا هِي حَيَّةٌ تَسْعَى][1]، وقال : " ولو كانوا لا يسمون انسيابها وانسياجها مشيا وسعيا لكان ذلك مما يجوز على التشبيه والبدل وان قام الشيء مقام الشيء أو مقام صاحبه".[2]

" تكلم الجاحظ عنها على نهج أدبي ضمن مبحثه المجاز والتشبيه، وقد أطلق كلمة " المجاز" على كل الصور البيانية، عندما تناول كثيرا من آيات القرآن الكريم للبحث عما فيها من صور المجاز، يتضح ذلك في الباب الذي كتبه تحـت عنــوان(باب آخر في المجاز والتشبه)"[3]، وذلك في قوله عندما قال الشاعر:

وَطَفَقَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

يقول الجاحظ " جعل المطر بكاء من السحابة على طريق الاستعارة، وتشبه الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"[4] أي أن الجاحظ في هذا المثال صرح بلفظ الاستعارة فالجاحظ أول من عرف الاستعارة لونا بلاغيا، وعرف تسميتها على غرار ما رأينا في الأمثلة في كتبه ومن خلال الأمثلة التي جاء بها[5].

يتضح لنا عناية الجاحظ بالاستعارة ذلك في قول: "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن ليعرف بها ما بين المجاز والحذف، وبين الزوائد، والفصول والاستعارات"[6] لكن هذا الكتاب لم يصلنا ولو وصل إلينا لكشف الستارعن كثير من الأمثلة وحدد لنا آراءه البلاغية التي وردت في كتبه: البيان والتبيين والحيوان، ومع أن الجاحظ لم يفرد لها بابا، لكنه تحدث عنها ويعد هو الرائد في هذا اللون البلاغي الذي أشار إليه في طيات حديثه ومن خلال تحليله إلى بعض الأمثلة في مؤلفاته.

---

[1] سورة طه، الآية، ص20.

[2] الجاحظ، الحيوان، ج 4، ص273.

[3] أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة، منشأ المعارف، الإسكندرية،(د ،ط)، 1988م، ص 36.

[4] الجاحظ،البيان والتبيين، ج1، ص152 – 153.

[5] أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة، ص 38.

[6] الجاحظ، الحيوان، ج3، ص 76.

ابن قتيبة والاستعارة:

كذلك لابن قتيبة حديث عنها في قوله:" والعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها من الأخرى أو مجاورا لها أو شاكلا"[1]، من تعريف ابن قتيبة نستشف أنه يقصد من خلاله الإتيان بلفظة سواء تدل على الكلمة أو تقاربها المهم أن تكون هذه الكلمة لإرادة المعنى الحقيقي، وهذا يذكرنا بتعريف المجاز"وابن قتيبة في تحدثه عنها في كتابه ليس تحت اسم البديع أو البيان، تطرق لها من باب تأويل آيات القرآن وتحليل الآيات القرآنية وبيان الاستعارة فيها، وابن قتيبة في كتابه اعتمد على التطبيق أكثر من التنظير خـلال التحليل والتعليل للشواهـد في الكتـــاب، وابن قتيبة لم يبتعد في مفهومه لاستعارة عمن سبقوه.

الاستعارة عند ثعلب:

" وهي أن يستعير للشيء اسم غيره أو معنى سواه" يقول امرئ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تُمْطَى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أعجازا وناء بكلل[2]

فاليل لا عجز ولا صلب له، قد أورد ثعلب في كتابه قواعد الشعر كثير من الأمثلة الشعرية التي تزيد الوضوح والإبانة، وقوة التصوير.

المبرد والاستعارة:

تحدث عنها في قوله: " إن العرب تستعير من بعض البعض"[3]والمبرد لم يتحدث عن الاستعارة إلا في إطار حديثه عن المجاز وقدم في كتابه العديد من الشواهد.

ابن المعتز وتناوله للاستعارة:

كان من الذين تحدثوا عن الاستعارة وعرفها في قوله: " استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها"[1]، "لم يكتفي ابن المعتز بذكر وجوه الاستعارة الجميلة،

---

[1] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح : أحمد صقر دار المعارف،(د،ط)، 1954م، ص 102.

[2] ثعلب، قواعد الشعر، شر: عبد المنعم خفاجي، مصر، 1948 م، ص47.

[3] المبرد، أبو الحسن محمد بن زيد، الكامل، تح :أحمد محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ص 48.

وإنما راح يضرب أمثلة للاستعارة القبيحة وبين ما فيها من عيوب والملاحظ أن ابن المعتز حين أورد الشواهد ممثلا للاستعارة، جاء أغلبها من باب المكنية"[2]، ويضرب لنا أمثلة من القرآن الكريم مثل قوله: [وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ][3] وقوله: [وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا][4]، وقال إبراهيم النخعي الفكر مخ العمل، وهذا يختلف من قولنا الفكر صلب العمل لأن في هذه الجملة لا نحس بأي تأثير فينا وهو كلام عادي بعكس الجملة الأولى التي تغيرت فيها لفظة مخ الدالة على بلوغ عالم الخيال، وأنظر لما فيه من قوة تصوير. وصف أعرابي قوما فقال كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام وإذا تصافحوا بالسيوف فغر الحمام، والذي يريده من هذا المثال الاستعارة إذ استعار لفظة تصافحوا من حركة يقوم بها الإنسان وهذا على سبيل الاستعارة المكنية، وقيل لأعرابي كم أهلك قال أب وأم وثلاثة أولاد[5] أنا سبيل عيشهم ويقصد من هذا أنه مصدر الرزق وهذا على سبيل المجاز لا الحقيقية، وفي قول النابغة:

وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيْلُ عَازِبٌ هَمُّهُ تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبْ

أراد قوله الليل عازب همه هذا مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها أي موضع تأوي إليه.

يمكن القول أن دراسة المبرد للاستعارة لم تكن دراسة تخضع لمنهج معين، بل جاءت ضمن الألوان البديعية الأخرى التي تطرق لها، فتعد دراسته مقتضبة حيث لا نجد هوية واضحة لها. أما ابن المعتز في كتابه البديع الذي أفرد لها الباب الأول، فنجد هذا الباب زاخرا بالأمثلة من القرآن الكريم، وكلام العرب، إلا أن الشواهد التي أوردها لم

---

[1] ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، البديع تح : عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ط1، 1990م، ص 48.

[2] عمر بن طرية، المصطلح النقدي في كتاب البديع، الملتقى الدولي، 9 ،10 مارس2011 م، ورقلة ص 75.

[3] سورة الاسراء 24.

[4] سورة مريم،الآية 04.

[5] ابن المعتز، البديع، ص4.

تحلل التحليل الكافي والواضح، والتعليق على الاستعارات يكاد ينعدم عكس ابن قتيبة الذي كان يعلق على كل مثال يورده.

السكاكي ورؤيته للاستعارة:

يقول السكاكي الاستعارة : " تعليق العبارة على غير ما وضعت في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة، وعند الأكثر جعل الشـيء لأجل المبالغـة في التشـبه كقولك: رأيت أسدا في الحمام، وجعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه كقولك لسان الحال وزمام الحكم، ولا أزيد عن الحكاية"[1]، وقد ذكر السكاكي أنواعها وهي: "استعارة المحسوس بوجه حسي أو بوجه عقلي استعارة معقول لمعقول واستعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول للمحسوس، فيذكر قوله تعالى [وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا] فالمستعار منه النار، والمستعار له الشيب والجامع بينهما هو الاشتعال "[2].

فالسكاكي لم يأتي بجديد في مفهومه للاستعارة، والفضل يعود له في جعل الاستعارة علم قائم بذاته هو"علم البيان" الذي يعتبر فرع من البلاغة، "وأخيرا نستطيع القول بأن السكاكي لم يزد عما قاله السابقون، بل إن النظرة المنطقية نراها تسيطر على بحثه، فهو يسوي مثلا بين عمل صاحب البيان، وعمل صاحب الاستدلال، لذا يسوق السكاكي بحوث الاستدلال والقياس، والتقسيم، والاستقراء، والتمثيل في مفتاحه مسويا بين العلمين، البلاغة والمنطق.

الرماني والاستعارة :

"تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[3] والنقد الذي اعتمده الرماني في تحليله للاستعارة نقدا جماليا ذوقيا.

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1، 2000م، ص 93.

2 المرجع نفسه، ص 498.

[3] الرماني، أبو الحسن بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل تح: محمد زغلول سلامة، دار المعارض، ص 79.

مفهوم الاستعارة عند الرازي:

حيث يعبر عنها في قوله: " الاستعارة أن نذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[1]

الآمدي والاستعارة:

يعرف الآمدي الاستعارة أنها: " استعارة المعنى لما ليس له، إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله، أو كان سببا من أسباب فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه"[2]، والآمدي في شواهده الشعرية التي أوردها في الموازنة بالشرح والتحليل والنـــاقد كان يختم حديثه عن كل بيت بقوله: هذه الاستعارة رديئة أو جيدة، والاستعارة عنده قسمين : الاستعارة الصحيحة الحسنة والرديئة، في تعليقه عن بيت أبي تمام :

إِذَا وَعَدَ أَنْهَلَتْ يَدَاهُ فَأَهْدَتَا لَكَ النَّجْحَ مَحْمُولًا عَلَى كَاهِلِ الوَعْدِ

فيقول : " كاهل الوعد إذا حمل النجح فمن سبيله أن يكون صحيحا مسلما فهذه استعارة صحيحة في هذا البيت"[3].

والآمدي يرى أنها صحيحة وذلك لأنها خرجت عن نطاق التجسيد والتشخيص والتجسيم لأنه يستهجن هذا النوع من الاستعارات، وهذه الاستعارة تتناسب ومفهومه للاستعارة، وذلك في قوله لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه، و إذا أنه يشبه النجح بشيء ملموس يحمل ويهدى ، واستعار لفظة الحمل للتعبير عن قيمته. كذلك في تعليقه عن قول إبراهيم بن هرمة:

---

[1] الرازي، محمد بن أبي ذكر نهاية في دراسة الإعجاز، تح: إبراهيم السامرائي محمد بركان حمدي أبو علي، دار الفكر عمان، ط1، ص 82 .

[2] الآمدي، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تح:أحمد صقر دار المعارف، مصر، 1961م، ط2، ج1، ص 266.

[3] المرجع نفسه، ص 266.

يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنَّ سَائِلُهُ وَيَقْتُلُ الرَّيْثَ عِنْدَهُ العَجَلُ

فيقول الآمدي: فهذه استعارة صحيحة أن يقتل العجل الإبطاء.[1] ويأتي للاستعارة القبيحة الرديئة ومن ذلك قول أبي تمام:

فَلَوَيْتَ بِالْمَوْعِدِ أَعْنَاقَ الوَرَى وَ حَطَّمْتُ بِالإِنْجَازِ ظَهَرَ المَوْعِدِ

فيقول الآمدي معلقا على هذا البيت:" حطم ظهر الموعد بالإنجاز استعارة قبيحة جدا، والمعنى أيضا في غاية الرداءة لأن إنجاز الوعد هو تصحيحية و تحقيقيه وبذلك جرت العادة أن يقال "قد صح فلان، وتحقق ما قال، وذلك أنجزه، فجعل أبو تمام في موضع صحة الوعد حطم ظهره، وهذا إذا أخلف الوعد وكذب"[2] من خلال هذا البيت نرى أن الآمدي لم يوافق أبو تمام في قوله "حطمت بالإنجاز ظهر الوعد أي عندما أنجزت الوعد حطم ظهري أي مع إنجازك للوعد والوفاء به خذلتني وحطمتني "و نحن في الحياة العادية عندما نرى أن شخص وفى بوعده دليل على إخلاصه وأخلاقه فيزداد تقديرا واحتراما في مجتمعه، كذلك نجد قوله:

يَا دَهْرَ قَوْمٍ مَنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامِ مِنْ حِرْقِكَ.

وعلق يقول : " أي ضرورة دعته إلى الأخدعين؟ وكان يمكنه أن يقول من (اعوجاجك) أو (قوم ما تعوج من صنعك)، أي يا دهر أحسن بنا الصنيع لأن الأخرق هو الذي لا يحسن العمل، وصده الصنيع"[3] نرى الآمدي استقبح هذا البيت ذلك لما فيه من تشخيص للدهر الذي يشبهه الشاعر بالإنسان في الخداع والمكر، والآمدي كان رافضا تماما لهذا النوع من الاستعارات. كما هو الحال في قول الشاعر:

لَمْ تَسْقِ بَعْدَ الهَوَى مَاءٌ أَقَلُّ قَذَى مِنْ مَاءِ قَافِيَّةٍ يَسْقِيهِ فَهْمٌ[4]

---

[1] المرجع السابق ، ص 231.

[2] الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج2، ص230. 231.

[3] المرجع نفسه، ص 240.

[4] المرجع السابق، ج1، ص275.

معظم النقاد المحدثين تناولوا قضية الاستعارة عند الآمدي، تناولوا مسألة التشخيص وموقف الآمدي منها في حين نلاحظ أن هذه السمة سمة من سمات الأسلوبية كذلك[1].

من خلال ما سبق نستنتج أن الآمدي نظر إلى الاستعارة نظرة قريبة بمعنى يتلائم والحياة البسيطة التي يعيشها الشاعر، أي أن الناقد من أنصار الطبع والشعر المطبوع السليق لا الذي يعتمد على ثقافة الشاعر وتكلفه، كذلك نجده يرفض الاستعارات التي تعتمد على التشخيص والتجسيد والتجسيم الذي يتنافى وخليفته الدينية.

" فالآمدي يناقش موضوع الاستعارة على أساس لغوي، وهو متمسك بالعلاقة النقدية الشائعة القريبة بين طرفي الاستعارة، ويرى الخروج عن ذلك انحرافا عن جادة الفن، فكأنه يؤطر للشعراء معجما من العلاقات يلتزمون به وهم يعبرون عن إحساسهم بالمعاني، ولا يحيدون عنه وهم يتخيرون صورا تناسب أفكارهم وتحمل درجة انفعالــهم، فهو ينتصر في كلامه لصواب الاستعارة وقربها من الحقيقة، لأن أفضل الاستعارات عنده ما جاءت ملائمة للمعنى الذي استعيرت له رافضا في الوقت نفسه البعد عن الحقيقة في تناولها، الأمر الذي يجعلها تصبح فيه غير مقبولة، يدخلها في دائرة الغش والرداءة"[2].

يعد كتاب العمدة : في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق من الكتب التي ألفت في القرن الرابع، والذي جمع فيه صاحبه أحسن ما قيل في معاني الشعر ومحاسنه وآدبه وعول مؤلفه فيه على قريحة نفسه، ونتيجة خاطره خوف التكرار ورجـاء الاختصار، إلا ما يتعلق بالخبر وضبط الرواية، فإنه لم يغير شيئا من لفظه ولا معناه ليؤتي بالأمر على وجهه"[3]، و سنتناول في هذا الكتاب مصطلحين بلاغيين خصص لهما الكاتب بابين من كتابه وهما الاستعارة والمجاز.

---

[1] ينظر جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الناشر المركز الثقافي، ط / 2، ص 295 . 260

[2] نوع عبكل، المصطلح النقدي والبلاغي عند الآمدي، ص 144.

[3] ابن رشيق، العمدة، تح : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا،ج1 ، ص 03.

مفهوم الاستعارة عند ابن رشيق:

حيث يقول: " أفضل المجاز، وأول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها، والناس مختلفون فيها: منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه"[1]، ومن خلال تعريف الناقد نستشف أنه فضل الاستعارة عن المجازات الأخرى ومن منظوره أنها الأجمل والأحلى وأنها تزيد الشعر رونقا وجمالا، أي بمثابة الحلي له وهي أجود الكلام إن كانت في محلها أي بالمقام الذي يليق لهذه الاستعارة، لا أن تكون من أجل الزخرف اللفظي فحسب بل أن يكون لها موقعا من الكلام.

ابن رشيق يملك بعد النظر وقوة البصيرة في مدلول الألفاظ والمعاني ويرى أن الألفاظ هي التي ترتكز عليها العملية الإبداعية إذا يخترعها الشاعر يحدق فتكون هذه الألفاظ ملائمة لفكر الشاعر، أي أن تؤثر في السامع فتترك فيه ذلك الأثر الذي يمس إحساسه.

فالشعر كما يقول ابن رشيق: (ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع) فالشاعر سمي شاعر لشعوره الفريد[2]، كما نلاحظ أن ابن رشيق اهتم كثيرا بالاستعارة وجعلها أول أبواب البديع، وسار على نهج أبو هلال العسكري في نظرته للاستعارة، وهو يرى أن تكون مؤثر في النفس وتقع موضعها، وابن رشيق يعيب على من لا يستعمل الاستعارة موضعها أو يستعير للشيء ما ليس له ولا إليه، كما قال لبيد:

وَغَدَاةُ رِيحٍ قَدْ وَزَّعَتْ وَقَرَّةٍ إِذَا أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامِهَا.

" فاستعار للريح الشمال يدا، وللغداة زماما، وجعل زمام الغداة ليد الشمال إذا كانت الغالبة عليها، وليس اليد من الشمال ولا الزمام من الغداة، ومنهم من يخرجها مخرج

---

[1] المرجع نفسه، ص 268، 269.

[2] ينظر لعيب، ويزة ، كتاب " العمدة لابن رشيق" في ضوء الدراسات النقدية الحديثة رسالة ماجستير، ورقلة،11/ 05/ 2011/ ، ص11.

التشبه"[1] وهذا ما يراه الجرجاني في قوله: (أن الاستعارة ضــرب من التشبيه ونمط من التمثيل)[2].

نجد قول ابن رشيق في هذا ينطبق على الاستعارة في قوله ما ليس منه ولا إليه أي جعل الريح يدا و للغداة زماما. ثم ينتقل إلى قول ذو الرمة:

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى دَوَى العُودُ وَالْتَوى وَسَاقَ الثُّرَيَّا فِي مُلَاءتِهِ الفَجْرَ

" فاستعار للفجر ملاءة، وأخرج لفظه مخرج التشبيه ... وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة، ألا ترى كيف صير له ملاءة... ولا ملاءة لـه، وّإنما استعار له هذه اللفظة؟ وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذو الرمة ناقص الاستعارة، إن كان محمولا على التشبه ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد وهذا عندي خطأ"[3] من خلال المثال يتضح أن ابن رشيق فضل بيت ذو الرمة على بيت لبيد، وهو ما يستحسن أن تكون استعارة قريبة أي تليق وتصلح لهذا الشيء، ثم يأت ابن رشيق بمثال كدعامة لما قاله، ويستدل بها في قوله لو كان المعنى البعيد أحسن، استعارة، لما استهجن قول أبي نواس:

بُحَّ صَوتُ المَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فأي شيء أبعد استعارة من صوت المال؟ فكيف حتى بح من الشكوى والصياح مع أن له صوتا حين يوزن أو يوضع؟ ولم يرده أبو نواس فيما أقدر لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيدا[4]

يريد الناقد بهذا المثال أن يوضح أن أبا نواس أورد لفظ لا يناسب، ومعناه بعيد، ذلك أن المال له صوت هذا المعنى القريب وقد بح ذلك من الإفراط في صرفه وعدم المحافظة عليه، نأخذ كذلك بعض آراء آخرين من ذوي العلم والمعرفة وذلك نحو كلام

---

[1] ابن رشيق، العمدة ، ص 269.

[2] الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمد رشد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1988، ص 15

[3] ينظر، ابن رشيق، العمدة، ص 269.

[4] المرجع نفسه، ص 270.

بن جني، أن الشيء إذا أعطى وصف غيره سمى استعارة إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جدا حتى ينافر، ولا أن يقربها كثير حتى يحقق ولكن خير الأمور أوسطها.

الاستعارة عند الجرجاني:

جدير بالذكر أن عبد القاهر تكلم باهتمام بالغ عن الاستعارة بين الألوان التي ذكرها وربطها بأساسها وهو التشبه، فهي ضرب من التشبه عنده، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول والأذهان لا الأسماع والآذان[1]، ثم يتطرق إلى تعريف الاستعارة فيقول: " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، وتدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ما يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل فينقل إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية"[2]، من المفهوم السابق للاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني مع أنها تقوم على التشبيه لكن التشبه إذا دخلته الاستعارة يصبح وجه الشبه فيه واضحا حتى لا يدخل الاستعارة في أسلوب الألغاز و التعمية.[3]

مفهوم الاستعارة عند ابن الأثير:

عرفها ابن الأثير بقوله: " هي طي ذكر المستعـــار له الذي هو المنقول إليــه والاكتفاء بذكر المستعار الذي هو المنقول"[4],

من خلال ما تطرقنا لمفهوم الاستعارة عند النقاد القدامى نستنتج أن الاستعارة في أصلها تشبيه حذف أحد طرفي، ولكي تكون الاستعارة هناك مستعار منه، مستعار له، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2001 م ج1، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص 36.

[3] ينظر، االمرجع السابق، ص 211 .219.

[4] ابن الأثير، المثل السائر، تح :أحمد الجوفي، و بدوي طبانة، مكتبة النهضة، مصر، القاهرة ،ص 176.

المجاز عند القدامى:

لغة: "جزت الطريق وجاز الموضع جوازا وجازيه وجاوزه، وأجازه غيره وجازه سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع جوازا المعنى جزته والمجاز والمجازة الموضع"[1].

اصطلاحا: "اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزاز وأشباههما، وحقيقة هي الانتقال من مكان إلى آخر، وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر"[2].

" أول ما يصادفنا من العلماء الذين تطرقوا إلى المجاز: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى وكتابه "مجاز القرآن" أبان فيه عن كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية باحتذاء أساليب العرب في الكلام وسننهم في طرق الإبانة عن المعاني ووسائلها حين أحسن حاجة الناس إلى وصل حاضر اللغة"[3].

المجاز عند ابن قتيبة:

كذلك ابن قتيبة الذي تحدث عن المجاز يقول" وللعرب المجازات في الكلام ومعناها، طرق القول ومآخذه ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعويض والإفصاح والكناية، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع، والجمع خطاب الواحد والجمع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم إن شاء الله"[4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة ،(جواز)، ص640

[2] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 589.

[3] أحمد عبد الحميد الصاوي، مفهوم الاستعارة، ص 17.

[4] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 16.

تعريف المجاز عند المبرد:

لدينا المبرد ومن أضرب المجاز عنده، ضرب تجري تسمية الشيء بإسم ما يئول إليه، فيقول " إني أراني أعصر خمرا"[1] أي تعصر عنبا فتصير إلى هذا الحال.

المجاز عند الآمدي:

وقد كثر التحليل المجازي لدى الآمدي في كتابه الموازنة ويشير إلى المجاز قائلا: " وإنما تستعار اللفظة لغير ماهي له، إذا احتملت معنى يصلح لذلك الشيء الذي استعيرت له، ويليق به، لان الكلام أنما هو مبني على الفائدة في حقيقته ومجازه"[2] وقد أدخل بعض المجازات في المجاز المرسل.[3] قوله تعالى "فليدع ناديه"[4].

"فالآمدي في تعليقه السابق يشير إلى إحدى علاقات المجاز المرسل وهي المحلية، حيث يذكر المحل بذكر ويراد من به دون أن يذكره بالاسم.

ابن رشيق في مفهومه للمجاز:

يقول ابن رشيق عن المجاز : معنى طريق القول ومآخذه وهو مصدر " جزت مجاز كما نقول قمت مقاما وقلت مقالا".

" والمجاز من الكلام أبلغ من الحقيقة: وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وما عادا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجازا، لاحتماله وجود تأويل، فصار التشبيه والاستعارة، وغيرها من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز إلا أنهم خصوا بالمجاز بابا بعينه"[5] فيقول جرير بن عطية:

إِذَا أَسْقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعْينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا

---

[1] سورة يوسف ، آية 36.

[2] الآمدي، الموازنة، ص 201.

[3] ينظر، نوح عبكل، المصطلح النقدي و البلاغي عند الآمدي، ص 158.

[4] سورة العلق، الآية 17.

[5] ابن رشيق، العمدة، ص 266.

أراد من المطر لقربة من السماء، والذي يريده من السماء السحاب وقال " سقط يريد سقوط المطر الذي فيه وقال " رعيناه" والمطر لا يرعى ولكن أراد النبت".

تعريف عبد القاهر الجرجاني للمجاز:

يعرف عبد القاهر الجرجاني المجاز بأنه " فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها بملاحظة الثاني والأول فهو مجاز، وإن شئت قلت، كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن نستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ماتجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز، ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن إلا أن الإسناد يقوى ويضعف"[1]

ويعطي مثال على قول النبي صلى الله عليه وسلم"المؤمنون تتكافأ دماؤهم وسعى بذنبهم أدناهم، وهو يد على من سواهم" المعنى وان كان على قولك وهم عون من سواهم، فلا تقول إن اليد بمعنى العون حقيقة، بل المعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الإنفاق بينهم مثل اليد الواحدة فكما لا يتصور أن يجذل بعض أجزاء اليد بعض وإن تختلف بها الجهة في التصرف كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم عن المشركين لأن كلمة التوحد جامعة لهم فلذلك كانوا كنفس واحدة فهذا كله مما يعترف لك كل أحد فيه بأن اليد على انفرادها لا تقع على شيء فبنوهم لها نقل من معنى إلى أخر على حد وضع الاسم واستئنافه"[2].

السكاكي و رؤيته للمجاز:

يعرف السكاكي المجاز" هو الكلمة المستعلمة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدل

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 304.

[2] المرجع السابق، ص 390.

عليه بنفسها في ذلك النوع"[1] وقد قسم السكاكي المجاز قسمان لغوي: يسمى مجازا في المفرد، وعقلي ويسمى مجازا في الجملة.

واللغوي قسمان: قسم يرجع إلى معنى الكلمة، وقسم يرجع إلى حكم بها في الكلام، والراجع إلى معنى الكلمة قسمان خال عن الفائدة ومتضمن لها وأنه سمي الاستعارة " وهي مجاز لغوي راجع إلى المعنى جال عن الفائدة، مجاز لغوي معنوي، مفيد حال عن المبالغة في التشبيه، استعارة، مجاز لغوي راجع إلى حكم الكلمة، مجاز عقلي سواه الكلام في الحقيقة العقلية"[2].

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 469.

[2] المرجع نفسه، ص 471.

الفصل الثاني

الاستعارة في كتابات أبي هلال العسكري

مفهوم الاستعارة عند أبي هلال العسكري:

إن أبرز المباحث التي لاقت عناية النقاد والدارسين، هي الاستعارة التي تشكل أساسا للدراسات البلاغية، فانصبت جل جهود النقاد حولها، حيث لا نجد كتابا بلاغيا أو نقديا إلا وتعرض لهذا المصطلح، وكان من أهم الأسباب لتلك العناية بها، الحاجة الماسة إلى تفهم هذه الصور التي كثر ورودها في القرآن الكريم وفي كلام العرب.

سنطرق في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري لمصطلح الاستعارة، التي خصص له الفصل الأول من الباب التاسع وهو باب البديع، حيث يعرف أبو هلال العسكري الاستعارة بقول" نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض (إما) أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه (أو) تأكيده والمبالغة فيه (أو) الإشارة إليه بالقليل من اللفظ (أو) يحسن المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا"[1].

أبو هلال العسكري لم يكن من الأوائل الذين تعرضوا للبديع فهو قد أخذ عن سابقيه الكثير عن هذا المصطلح، وهذا ما نلمسه في مفهومه للاستعارة، حيث نجده لا يختلف عمن سبقوه من النقاد، وقد عرفها التعريف المتفق عليه عند (ابن المعتز) وقدامة والرماني في كون الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها، وأنها تؤدي دورها في التعبير و التصوير الفني الخالص، إلا أن تعريف أبا هلال العسكري يبدوا أكثر تفصيلا ووضوحا عن سابقيه وهذا ما يتجلى فيما ذكره في غرض الاستعارة " ذلك لأنه يكشف الأغراض التي من أجلها جاز هذا النقل، إذ لابد لهذا النقل من فائدة يتضمنها، كشرح المعنى شرحا يقربه من ذهن السامع، ويوضحه في نفسه توضيحا، ويؤكده، أو للمبالغة في إدخال المشبه في جنس المشبه به، أو لتصويره بصورة الغريب الذي تتوق النفس إلى معرفته، أو ليكون النقل مفيدا

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 290

للاقتصاد على ذهن السامع بالإشارة إلى المعنى الكثير باللفظ القليل"[1]، ففي الاستعارة عند أبي هلال العسكري " إضافة ماثلة في الغاية أو الغرض الذي تؤديه في التعبير وهو هدف متعدد النواحي ما بين توكيد المعنى والمبالغة فيه إلى إيجاز الكلام إلى تحسين المعرض الذي تظهر فيه"[2].

قد ركز أبو هلال العسكري على الاستعارة المصيبة التي تتضمن من الفائدة ما لا تتضمنه الحقيقة، ذلك أنها تزيد من الفائدة ويرى أن لو كانت الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا " وهذا ما أطلق عليه الجرجاني بالاستعارة المفيدة وهي أن يقصد بها قصدا للمبالغة مثل (كلمت بحرا) أي جوادا وقال أنها هي التي تشيع في كلام الأدباء على اختلاف لغاتهم"[3]، وعند ابن رشيق بالاستعارة المختارة يقول" ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك؟ على أن نجد أيضا اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة"[4]. ومثال ذلك قول الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّ بَيْضَاء إِنَّنِي هَرِيقَ شَبَابِي وَ اسْتَشَنَّ أَدِيمِي

" قال هريق شبابي لما في الشباب من الرونق والطرواة التي هي كالماء ثم قال : "استشن أديمي" لأن الشن هو القربة اليابسة، فكأن أديمه صار شنا لما هريق ماء شبابه، فصحت له الاستعارة في كل وجه"[5].

تصنيف الاستعارة عند الناقد:

فالاستعارة أبلغ من الحقيقة إذ أنها تقوي المعنى، وتزيد من الفائدة على خلاف الحقيقة لذلك يقال" من أجل أن كان الأمر كذلك رأيت العقلاء كلهم يثبتون القول بأن شأن الاستعارة

---

[1] أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، ص 59.

[2] سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية(د، ط) 1999م، ص 29.

[3] شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص 193.

[4] ابن رشيق، العمدة، ص 274.

[5] المرجع نفسه، ص 274.

أن تكون أبدا وأبلغ من الحقيقة"[1] والشاهد على ذلك ما أورده الناقد من أمثلة في هذا اللون البديعي أن للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة .

الاستعارة في القرآن الكريم:

من الشواهد التي أوردها الناقد في تناول الاستعارة قوله الله تعالى: [يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ][2] وهو أبلغ مما قصد له من قوله يوم يكشف عن شدة الأمر وإن كان المعنيان واحدا فقد استعيرت الساق للتعبير عن شدة الأمر " فأصل هذا أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى معاناة والجد فيه . شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة[3].

(يكشف عن ساق) استعارة وأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل لأن من وقع في شيء يحتاج إلى الجد يشمر عن ساقيه، فاستعير الساق والكشف عن شدة الأمر، وعبارة الزمخشري: الكشف عن الساق والإبداء عن الخدام، مُثّل في شدة الأمر وصعوبة الخطب وأصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب وإبداء خدامهن عند ذلك وقول الزمخشري: والإبداء عن الخدام جمع خدمة وهي الخلخال.[4] فالاستعارة المصيبة التي أشار إليها الناقد، هي التي تصيب المبتغى من الكلام وتؤثر في ذهن السامع على العكس من الحقيقة التي لا تترك أي أثر لديه وذلك لما تحويه الاستعارة المصيبة من قوة التصوير وبلاغة في التعبير، ومنه قوله تعالى[أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا][5] فاستعمل النور

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح:محمد عبده ومحمد محمود الشنقياطي دار الكتب العلمية، بيروت،(د،ط) (د، ت).

[2] سورة القلم، الآية:42.

[3] ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 89.

[4] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا ط7، 1999م، ج8، ص 39.

[5] سورة الأنعام، الآية 122.

مكان الهدى لأنه أبين والظلمة مكان الكفر لأنها أشهر"[1] أي كان كافرا وجعلنا له إيمانا يهتدي به سبل الخير والنجاة،[2] فالمستعار له النور والمستعار منه الهداية والتقوى يدلان على الإيمان والرجوع إلى الله عز وجل، والمستعار هو المهتدي إلى الطريق المستقيم، وفي قوله (في الظلمات ليس بخارج منها) فالمستعار له الظلمة والمستعار منه الكفر والمستعار هو الكافر ووصفت طريقه بالظلماء، والاستعارة في قوله (نورا يمشي) فالنور شيء معنوي يدل على الهداية شببه بشيء مادي وهو المشي، وكذلك في قوله" ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك"[3] وأصل الوزر ما حمله الإنسان على ظهره[4] والوزر بمعنى الإثم والوزر يحمل على الظهر على سبيل المجاز لا الحقيقة إذ شبه شيء معنوي وهو الوزن بما يحمل على ظهر الإنسان، من ذلك قوله تعالى:[حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا][5] فقد شبه الحرب بمطايا ذات أوزار[6] أي أحمال ثقال وهذا على سبيل الاستعارة فالمستعار له الحرب والمستعار منه الوزر (السلاح) في دليله على الثقل وكثرته، والمستعار الثقل، والمجاز في الإسناد، فقد أسند وضع الأوزار إلى الحرب، وإنما هو لأهلها.[7] وقوله تعالى:[وَلَسْتُمْ بِآخِذِيَةٍ إِلَّا أَنَ تُغْمِضُوا فِيهِ][8] لأن قوله غمض عن الشيء أدعى إلى ترك الاستقصاء فيه من قولك رخص فيه[9] أي التخلي وصرف هذا الأمر والمتمثل في صرف البصر عن هذا الشيء،" و المراد

---

[1] أبو هلال، العسكري، الصناعتين، ص297.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص 91.

[3] سورة الشرح، الآية 2.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص297.

[5] سورة محمد، الآية 4.

[6] محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه، ج7، ص 192.

[7] المرجع نفسه، ص 192.

[8] سورة البقرة، الآية 267.

[9] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 298.

هنا التجاوز والتسامح و المساهلة[1] " والاستعارة في قوله [إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ] شبه التجاوز عن الشيء الجديد بالمؤاخذة بغض البصر عما يتفادى المرء رؤيته مما يكره"[2].

فالأمثلة التي وردت كانت لتأكيد المعنى والمبالغة فيه، وذلك من خلال بلاغة هذه الصور وقوتها حيث نجد الناقد عند إيراده للمثال يذكر في تعليقه (الاستعارة أبلغ) ويؤكد في كل ما أورده أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأنها توحي لك بالكثير من المعاني بالقليل من اللفظ على عكس الحقيقة ذلك في قوله تعالى[وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثورًا][3]، حقيقة عملنا . وقدمنا أبلغ ..... لأنه دل فيه على ما كان من إمهاله لهم حتى كأنه كان غائبا ثم قدم فاطلع على غير ما ينبغي فجازاهم بحبسه والمعنى الجامع بينهما.... العدل في شدة النكير لأن . العمد . إلى إبطال الفساد عدل "[4] " وفي (هباء منثورا) فبيان ما قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه"[5] ومن باب استعارة المعقول للمحسوس في قوله تعالى:[إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمُ فِي الجَارِيَةِ] ومتمثلة في الاشتراك في أمر معقول، وهي الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف فالمستعار الطغي، وهو الاستعلاء والمنكر والمستعار منه كل مستعل، متكبر، متجبر والمستعار له الماء والطغي، والماء محسوس[6]، كذلك قوله تعالى [سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ][7] فيقول الناقد "حقيقة الشهيق ها هنا الصوت الفظيع وفي هذا لفظتان والشهيق لفظة واحدة فهو أوجز، ما فيه من زيادة البيان"[8] وبالتالي التعبير بلفظة واحدة أبلغ و أبين من التعبير بلفظتين خاصة وإن كانت

---

[1] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج1، ص 298.

[2] المرجع نفسه، ص 360.

[3] سورة الفرقان، الآية 23.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 299.

[5] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج5، ص 3.

[6] المرجع نفسه،ج8، ص 51.

[7] سورة الملك ،الآية 7. 8.

[8] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 299.

هذه اللفظة توحي بالمعنى، أما في (تكاد تميز من الغيظ) " استعارة شبه جهنم بالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، وحذف المشبه به، وأبقى عن لازم من لوازمه، لأن المغتاظة تتميز غضبا ويكاد ينفصل بعضها عن بعض لشدة اضطرابها، ويقولون، فلان يتميز غيضا إذا وصفوه بالإفراط في الغضب"[1] فالمستعار له جهنم، والمستعار منه الإنسان المغتاظ، والمستعار الغيظ الذي يخص الإنسان أو هو صفة تميز الإنسان في حالة غليانه، ولأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس، فهذا التصوير شديد الوقع على السامع فيدرك من خلاله مدى قوة جهنم وبلوغها ذروة الغيظ والغليان، وهذا البيان لا تصوره الحقيقة ولا تقوم مقامه.وقوله عزا اسمه [وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ][2] " معناه ذهب وسكت أبلغ"[3]، "حقيقة انتفاء الغضب والاستعارة أبلغ لأنه انتفى انتفاء مراصد بالعودة فهو كالسكوت على مراصد الكلام بما توجيه الحكمة في الحال فانتفى الغضب بالسكوت عما يكره"[4] تشبيه الغضب بإتيان ناطق يغري موسى ويقول له: قل لقومك كذا وكذا وألقي الألواح، وخذ برأس أخيك، ثم يقطع الإغراء ويترك الكلام"[5] فالمستعار السكوت، والمستعار له الغضب، والمستعار منه الساكت، وقوله تعالى [وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً][6] " حقيقة مضيئة والاستعارة أبلغ لأنها تكشف عن وجه المنفعة وتظهر وقع النعمة في الأبصار"[7] فلو قلنا آية النهار مضيئة أو واضحة لكان المعنى أقل بلاغة من المعنى الأول فالابصار أعم وأبلغ من الوضوح والإضاءة وأقوى معنا منه، " لأن النهار لا يبصر بل يبصر فيه فوقع هنا المجاز

---

[1] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه،ج8، ص 10.

[2] سورة الأعراف، الآية 154.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 299.

[4] محمد محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، الناشر مكتبة وهبة، دار التضامن، القاهرة، ط2، 1988م، ص 213.

[5] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج3، ص 51.

[6] سورة الإسراء، الآية12 .

[7] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 300.

فهو إسناد الفعل إلى زمانه"[1]. وقوله تعالى: [وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا][2] "حقيقة كثر الشيب في الرأس وظهر... والاستعارة أبلغ لفضل ضياء النار على ضياء الشيب فهو إخراج الظاهر إلى ما هو أظهر و لأنه لا يتلاقى في انتشاره في الرأس كما لا يتلاقى إشعال النار"[3]، " وأصل الإشعال للنار وهو في هذا الموضع أبلغ وحقيقته كثرة الشيب في الرأس إلا أن الكثرة لما كانت تتزايد سريعا صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار"[4]، ففي هذا استعارة لأن الاشتعال للنار، ولم يوضع في أصل اللغة للشيب، والشيب كان يأخذ في الرأس ويسرى فيه شيئا فشيئا فيغير لونه، ومثل ذلك النار التي تسري في الخشب فتحيله إلى غير حاله، فالمستعار له الشيب والمستعار منه النار والمستعار الإشعال فهناك علاقة بين المستعار منه والمستعار أن كل منها يستلزم الآخر، والناقد يؤكد أنه يجب أن تكون علاقة بين المستعار والمستعار منه، وقوله تعالى:[بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ][5]، "حقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ... والقذف أبلغ من الإيراد لأن فيه بيان شدة الوقع وفي شدة الوقع بيان القهر وفي القهر هاهنا بيان إزالة الباطل عن جهة الحجة لا على جهة الشك والارتياب، والدمغ أشد من الإذهاب لأن في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس في الإذهاب"[6] والاستعارة في قوله [بل نقذف بالحق على الباطل] فقد شبه الحق والباطل وهما شيئان معنويان بشيئين ماديين ملموسين يقذفان ويدفعان، " والدفع لتجسيد الإطاحة بالباطل واعتلاء الحق عليه وتصوير إبطاله وإهداره، ومحقة كأنه جرم صلب كصخرة أو ما يماثلها في القوة والصلابة"[7] وقول تعالى: [عَذَابُ يَومٍ عَقِيمٍ][1] استعارة شبه " مالا خير فيه من الزمان بالنساء

---

[1] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج4، ص 300.

[2] سورة مريم ،الآية04 .

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 200.

[4] محمد محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص 213.

[5] سورة الأنبياء، الآية 18.

[6] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 200.

[7] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج5، ص 19

العقيم، أو لأن يوم الحرب يقتل فيه أولاد النساء، فيصرن كأنهم عقم لم يلدن"[2] فالمستعار العقم والمستعار له الزمن والمستعار منه النساء. وقوله عز اسمه: [إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ][3]، "فالعقيم التي لا تجيء بولد والولد من أعظم النعم وأحسن الخيرات ولهذا قالت العرب شوهاء ولود، خير من حسناء عقيم فلما كان ذلك اليوم لم يأتي بمنفعة حين جاء ولم يبق خيرا حين مر سمي عقيما..... ويمكن أن يقال إنما سمي عقيما لأنه لم يبق أحد من القوم كما أن العقم لا يخلف نسلا وسمي الريح عقيما لأنها لم تأتي بمطر ينتفع به، ويبقى له أثر من نبات وغيره، كما أن العقيم من النساء لا تأتي بولد يرجى"[4] وفي هذه " الاستعارة شبه ما في الريح من الصفة التي تمنع من إنشاء مطر أو إلقاح شجر بما في المرأة من الصفة المذكورة التي تمنع الحمل وقيل العقم وأريد به ذلك المعنى بقرينة وصف الريح به"[5].

المستعار له الريح، والمستعار منه ذات النتاج، والمستعار العقم وهناك اشتراك في المستعار له والمستعار منه وذلك في عدم النتاج، وهي استعارة محسوس لمحسوس للاشتراك في أمر معقول، فالاستعارة أبلغ وأقوى من الحقيقة إذ أن صفة العقم توحي بانقطاع الإنجاب والتوقف عن النتاج، ذلك لما في الريح عندما تأت فإنها تمنع المطر وبالتالي توقف نتاج النبات، وهذا ما للريح والعقيم من صفين مشتركين في عدم النتاج، وقوله تعالى: [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ][6]، حقيقته إذا انتشر والتنفس أبلغ لما فيه من بيان الروح عن التنفس عند إضاءة الصبح لأن الليل كربا والصبح تفرجا[7] إذ استعارة صفة التنفس للكائن الحي للدلالة على بيان ظهور الصباح، والتنفس ابلغ من الانتشار وذلك لما في الليل من طول، وهموم، وعند

---

[1] سورة الحج، الآية 55.

[2] المرجع السابق، ج5، ص 165.

[3] سورة الذاريات، الآية 41.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 301.

[5] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج7، ص 297.

[6] سورة التكوير، الآية 18.

[7] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 302.

وضوح الصباح يتنفس من هذه الهموم، كما الإنسان عندما يفرج عليه الأمر يشعر بالراحة وتنفس الصعداء، فالمستعار له الصبح والمستعار منه الإنسان والمستعار التنفس فهناك علاقة بين المستعار منه والمستعار أي أن الإنسان في تنفسه يحس بالراحة.

و في قوله [وَلَا تَجْعَلَ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ][1]، "حقيقة لا تكونن ممسكا... والاستعارة أبلغ، لأن الغل مشاهد والإمساك غير مشاهد، فصور له قبح صورة المغلول ليستدل به على قبح الإمساك"[2] " والاستعارة لمنع الشحيح وإعطاء المسرف فقد شبه حال البخيل في امتناعه من الإنفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه، فهو لا يقدر على التصرف في شيء"[3] ومغلولة إلى عنقه فهذا للدلالة على الشح، وأن يد البخيل قصيرة وذلك لتصوير مدى بخله وعدم قدرته على إعطاء المال فحاله كحال العاجز الذي لا يستطيع التصرف وفيه دلالة على أن البخل صفة مذمومة وغير مستحبة، والاستعارة أبلغ لأنها تصور تصوير دقيقا لحال البخيل، وقوله تعالى: [فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمُ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَادًا][4]، "حقيقة معنى الإحساس بآذانهم من غير صمم يبطل آلة السمع كالضرب على الكتاب يمنع من قراءته ولا يبطله[5]".

والاستعارة أبلغ وذلك لإخراج الشيء الذي لا يرى وهو السمع أي أنه غير محسوس، إلى الشيء المريء المحسوس وهو الضرب أي شيء مادي، وهذه الاستعارة زادت قوة تصوير لحالة هؤلاء الأشخاص، " وقد استعار الحجاب المانع على آذانهم للزوم النوم، وخص الآذان لأنه بالضرب عليها يحصل عليها"[6] كذلك في قوله تعالى:[وَإِذَا غَرُبَتْ تَقْرِضُهُم ذَاتِ الشِّمَالِ][7] فيقول الناقد ليس في جميع القرآن أبلغ ولا أفصح من هذا وحقيقة

[1] سورة الإسراء، الآية 29.

[2] المصدر السابق، ص 303.

[3] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج4، ص 350.

[4] سورة الكهف، الآية 11.

[5] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص303.

[6] محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، ج4، ص447.

[7] سورة الكهف، الآية 17.

القرض هاهنا أن الشمس تمسهم وقتا يسيرا ثم تغيب عنهم ... والاستعارة أبلغ لأن القرض أقل في اللفظ من كل ما يستعمل بدله من الألفاظ وهو دال على سرعة الارتجاع، وإن الشمس لو طاولتهم بحرها لصهرتهم وإنما كانت تمسهم قليلا بقدر ما يصلح الهواء الذي فيه لأن الشمس إذا لم تقع في مكان أصلا فسد"[1] ومعنى ذلك تتركهم وتتجاوز عنهم شمال الكهف أي أنها تمر مرور للحفاظ على أجسامهم من التعفن، فأنظر إلى قوة هذه الاستعارة وقد صورت الشمس وكأنها الأم الحنون على هؤلاء الفتية في خوفها عليهم من الاحتراق بها وقوة الله عز وجل والمعجزة في الحفاظ على هؤلاء الفتية.

فترجع أهمية الاستعارة في قدرتها على الإيحاء والإيماء واعتمادها على التلميح بدل التصريح ويستطيع التصوير الاستعاري، بما فيه من عناصر إيحائية أن يعطيك الكثير من المعاني بالسير من اللفظ[2] وبعد أن يمضي أبو هلال العسكري في عرض الكثير من الاستعارات في القرآن الكريم، كاشفا عن جمال معناها ووقعه على التنفس وفي كل مرة يؤكد الاختلاف لو عبرنا بأسلوب الحقيقة مؤكدا في آخر كلامه أنه لن يستطيع استقصاء جميع الاستعارات القرآنية.

الاستعارة في السنة النبوية و كلام العرب:

بعد ذلك يأتي دور الاستعارة في كلام العرب والسنة النبوية الشريفة مما جاء في كلام العرب فمثل قولهم هذا رأس الأمر ووجهه بمعنى هذا أساس الأمر أو لبه، والاستعارة أبلغ فقد شبه الأمر وهو شيء معقول بشيء محسوس وهو الرأس والوجه، فأنظر إلى قوة المشابهة بين ما هو مادي وما هو معنوي إذ في التشبه بالرأس والوجه وهو أن أساس الشيء هو الوجه والرأس، وبالتالي فنقول هذا رأس الشيء ووجهه، وقولهم (هؤلاء رؤوس القوم وجماجمهم وعيونهم)[3]فرؤوس القوم بمعنى أن لديهم مكانة مرموقة عند قومهم أي الأساس،

[1] أبو هلال العسكري ،الصناعتين، ص 303. 304.

[2] الجرجاني، أسرار البلاغة، ج1، ص137.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 304.

وجماجمهم بمعنى العقل المدبر والرأي الصائب في هؤلاء، وفي عيونهم ومن مهام العين الإبصار وهنا بمعنى أن هؤلاء القوم هم السبيل في إنارة الطريق للقوم وتوجهه الطريق المستقيم، وكل هذه مجازات، كذلك في قولهم (وهذا كلام له ظهر وبطن)[1] فقد استعار شيئين ماديين وهما الظهر والبطن لشيء معنوي وهو الكلام، فالظهر مدرك بالحواس ولا شيء أخفي فيه، بخلاف البطن الذي تتخله عدة أجهزة وأشياء لا نستطيع إدراكها، وبالتالي فالمقصد هنا أن الكلام له ظهر وهو المعنى الواضح الصريح الذي يدرك للوهلة الأولى، بخلاف المعنى الباطني أو العميق الذي نحتاج فيه إلى تأويل وقراءات، وقولنا (فلان ظهر فلان)[2] فالظهر يعتبر قوام الإنسان وسنده، وعندما نقول فلان ظهر فلان بمعنى أن هذا الشخص سنده وعماده على سبيل المجاز لا الحقيقة كذلك قولنا (وفي العرب جماجم)[3] فجاءت لفظة الجماجم التي تدل على الذكاء والدهاء فنقول هذا الإنسان لديه جمجمة أي للدلالة على ملكة الذكاء ومعنى في العرب جماجم بمعنى في العرب العقول النيرة وفي هذا مجاز للفطنة والذكاء، كذلك في قولهم (ولهم عندي يد بيضاء) فالمشبه به اليد ووصفت هذه اليد البيضاء وذلك للدلالة على السلام والأمن والسماحة.

كذلك في قولهم (ضحكت الأرض)[4] فالضحك شيء معنوي خاص بالإنسان ويعبر عن فرح وسرور والأرض شيء مادي جامد تعبر عن فرحها وسرورها بالنبات، أي أنه استعار شيء معقول لبيان شيء محسوس ألا وهو النبات الذي هو إبداء الحسن وجمال هذه الأرض وكأنها تضحك، ويقولون (ضحك السحاب بالبرق، وحن بالرعد ... وبكي بالقطر)[5] فاستعار صفة الضحك للتعبير عن جمال البرق وحسنه في السحاب، ثم يأت ويستعير

[1] المصدر نفسه، ص 304.

[2] المصدر نفسه، ص 304.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 304.

[4] المصدر نفسه، ص305.

[5] المصدر نفسه، ص305.

الحنين للرعد وذلك لما في العلاقة بين البرق والرعد إذا أنها تربطها علاقة الحنين فعندما يظهر البرق يحن له الرعد، ثم يقول بكى بالقطر، فالبكاء نجده أحيانا للدلالة على الفرح والسرور وأحيانا للدلالة على الحزن والكرب، وهنا نجده للدلالة على وجود المطر عندما ضحك السحاب وحن الرعد فوقع المطر للتعبير على هذا الضحك والفرح ويقولون: " بأرض فلان شجرة قد صاح" الشجر وهو شيء جامد وملموس عبر عليه بشيء معنوي وهو الصياح للتعبير عن النفس وذلك إذا طال فتبين الناظر بطوله ودل على نفسه، لأن الصياح يدل على نفسه"[1]. لكن: يمكن أن يعبر الشجر بصياحه للتعبير على ظهور الثمار فيه، وهذا فيه دلالة على نفسه، فالصياح فيه دلالة على النفس وهنا الشجر عبر بالصياح والمتمثل في هذا الثمار الذي قد بان للعيان على سبيل الاستعارة.

أما عن الحديث النبوي الشريف فقوله صلى الله عليه وسلم:[كُلَمَا سَمِعَ هَيْعَةٍ طَاَرَ إِلَيْهَا] [2] فقد استعار الصوت القوي المفزع وهو شيء غير محسوس لشيء محسوس وهو الذهاب إلى هذا الصوت، وقوله صلى الله عليه وسلم:[أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللِذِاتِ][3] فقد استعار لفظة الهدم التي تكون لشيء مادي وفي الهدم دليل على قوة الكسر والقضاء على الشيء فاستعملت لشيء معنوي وهو الذات وهذا ما يدل على أن هذا الذكر هو السبب في القضاء على اللذات، والاستعارة أبلغ لأن في لفظة الهدم وقع وتأثير في النفس بخلاف القضاء، وقال على رضي الله عنه:[السَّفَرُ مِيزَانُ القَوْمِ][4] فقد استعار السفر الذي هو شيء يفعله الإنسان وهو شيء معنوي لشيء مادي وهو الميزان ونحن ندرك أن من ميزات الميزان التوازن فنقول إنسان رزين متزن متوازن التفكير، وفي السفر فوائد كثيرة كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالسفر إذا فهو يمكن الإنسان من اكتشاف علوم الغير، والاطلاع على

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص305.

[2] المصدر نفسه، ص306.

[3] المصدر نفسه، ص306.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص306.

الثقافات كما أنه يمكن الإنسان الصبر على تحمل المشتاق والتعب، وبذلك يصبح الإنسان صبور لديه مقدرة على الاتزان وميزان الأمور في الحياة وفي قوله : [الحُلْمُ وَ الإِنَاءَةِ تَوْأَمَانِ][1] نتيجتهما علوا الهمة فقد استعار شيء مادي وهو التوأم لشيء معنوي وهو الحلم والإناء وذلك لما في التوأم من ترابط وعدم إمكانية الفصل بينهما، كما هو الحال بالتشبيه للحلم والإناء اللذان يتتبعان ويخلفان علوا الهمة وفي قوله(ص): [العِلْمُ قُفْلٌ وَمِفْتَاحُهُ المُسْئِلَةُ][2] فقد استعار القفل والمفتاح وهما شيئين ماديين للتعبير عن شيئين معنويين وهما العلم والمسئلة، أن العلم شيء مدخر مغلق عليه لا يفتح إلا بالمسئلة أي أنه يؤثر ويتأثر بالمسئلة، وقالت عائشة رضي الله عنها:[كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ دِيمَةَ][3] فاستعيرت الديمة وهي شيء مادي للتعبير عن شيء معنوي وهو عمل رسول الله صلى الله عليه وسلـم، وذلك لما في هذا المطر من عطاء وسخاء فهي التي تسقي وتكسب الأرض حسنا وجمالا وفي هذا السخاء حنان على الأرض ومن فوقها، ومن ذلك صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير وعطاء وحنان ورأفت بأمته، كذلك في قول عبد الله بن وهب الراسي لأصحابه: " لا خير في الرأي الفطير والكلام الغضيب"[4] فقد شبه الرأي وهو شيء معنوي بشيء مادي وهو الفطر ففي الفطر هشاشة وسرعة في التفتت و في هذا وصف لمن لا رأي لديه ولا يحسم أمره، ورأيه غير مأخوذ به. وقيل لأعرابية: كم أهلك... قالت أب وأم وثلاثة أولاد أنا سبيل عيشتهم بمعنى أنا السبب في حياتهم ولكنها عبرت مجازا والقصد أنها هي التي تعمل فتطعم أهلها أي أنها هي الوحيدة التي تتحمل مسؤولية عيشهم.

---

[1] المصدر نفسه، ص306.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص306.

[3] المصدر نفسه، ص306.

[4] المصدر نفسه، ص306.

وقال المنصور لبعضهم : (بلغني أنك بخيل، فقال ما أجمد في حق، ولا أذوب في باطل)[1] وفي هذا مجازا أي أنه لا يسكت أمام قول الحق وكأنه جماد وأنه لا يذوب أمام الباطل أي أنه لا يختفي ويهرب عند وقوع باطل فقه شبه نفسه بشيء يجمد وآخر يذوب.

وقال أعرابي: "خرجت في ليلة حندس، ألقيت على الأرض أكارعها فمحت صورة الأبدان، فما كنا نتعارف إلا بالآذان"[2] وفي ليلة حندس فهذا مجاز لتدليل على شدة الظلام واستعار للأرض أكارع بمعنى الأطراف وذلك لدلالة على قساوتها أما قوله محت صورة الأبدان بمعنى من شدة الظلام لا يرون بعضهم البعض وكانوا لا يتعارفوا إلا من خلال الصوت وهذا لما في هذه الليلة من ظلمة. يقال: (فلان أملس ليس مستقر لخير ولا لشر)[3] فالمجاز في عبارة فلان أملس والشيء الأملس هو الذي لا وجه ولا ظهر له، فقد شبهه بالإنسان عديم الشخصية فلا نستطيع أن نميز خيره من شره ولا أن نكشف عن شخصيته الخييرة أو الشريرة؛ (مدح أعرابي رجلا فقال كان يفتح من الرأي أبوابا مسندة ويغسل من العار وجوها مسودة)[4] فالاستعارة في قوله يفتح الأبواب المنسـدة و هو شيء مادي لشيء معنوي وهو الرأي ويقصد من وراء هذا أنه إنسان ذو رأي صائب معمول به فكأن رأيه مفتاح لهذه الأبواب فهو إنسان حكيم، كذلك في غسيل الوجوه وهو شيء مادي خصه بالعار وهو شيء معنوي وذلك لما في هذا الشخص من عطف وحنان على من يفعل العار،على أنه كان يلتجأ إليه وقت الضيق واليأس. ومدح أعرابي رجلا فقال: "لسانه أحلى من الشهد وقلبه سجن للحقد"[5] وفي لسانه أحلا من الشهد مجازا وذلك لما في كلام هذا الرجل من حلاوة ورقة ولطف وفي " قلبه سجن للحقد" وذلك لما في السجن من بشاعة وضيق وكتمان فهذا الرجل

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 307.

[2] المصدر نفسه، ص307.

[3] المصدر السابق، ص308.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص308.

[5] المصدر نفسه، ص308.

كتوم يداري حقده في قلبه كي لا يحرج الغير بكلمة غير لائقة. وذم أعرابي رجلا فقال: " يقطع نهاره بالمني ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى"[1] والاستعارة يتوسد ذراع الهم والهم شيء معنوي يشبهه بشيء مادي يتوسد وذلك يدل على أنه إنسان غير قنوع، قال آخر: " ما رأيت دمعة ترقرق في عين وتجري على خد، أحسن من عبرة أمطرتها عينها فأعشب قلبي لها"[2] فقد شبه الدموع التي تنزل من عينها بالمطر وذلك للتشابه بين الدموع والمطر أن كل منها ماء ينزل، وفي هذه العبارة المجازية فأعشب قلبي لها والعشب يتميز بالحسن واللين وفي هذه دلالة على أن هذه الدموع نزلت على قلبه فنبت فيه العشب وذلك للتعبير عن إحساسه وشعوره اتجاه هذه المحبوبة وأن قلبه من شدة التأثير بدموعها لان وتأثر. وذكر أعرابي رجلا فقال: " كان الفهم منه ذا أذنين والجواب منه ذا اللسانين"[3] فقد استعار الأذنين واللسانين وهما شيئين ملموسين لشيئين معنويين وهما الفهم والجواب فالاستعارة أبلغ وذلك لما في هذا الرجل من دهاء وسرعة الفهم والاسترسال في الجواب.

يقولون " القلم لسان اليد"[4]فهذا مجاز لأن اليد ليس لديها لسان، بل أراد اللسان لأن اللسان من ميزاته الكلام والقلم ميزاته الكتابة ولكن هذه الكتابة مرتبطة باللسان وبالتالي هناك علاقة بين اللسان والقلم.

---

[1] المصدر نفسه، ص309.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص309.

[3] المصدر السابق، ص310.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص311.

الاستعارة في الشعر العربي:

لابد لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة كما يقول الناقد، ويجب أن يكون معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه وتمثل ذلك في قول إمرئ القيس:[1]

أَوَقَدْ اِغْتَدي وَالطَيْرُ فِي وَكَنَاتَهَا بِمُنْجَرِدِ، قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ.

" والحقيقة مانع الأوابد من الذهاب والإفلات والاستعارة أبلغ...لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف لأنك تشاهد ما في القيد من المنع فلست تشك فيه والمعنى المشترك بين . قيد الأوابد . ومانع الأوابد . هو الحبس وعدم الإفلات"[2] إذن هناك اشترك بين الحقيقة والاستعارة إلا أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة، و قوله:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُرْخٍ سُدُولُهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيِبْتَــلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تُمْطِي بِصُلْبِــهِ وَأَرْدَاف إعْجَاز وَنَاءَ بِكَلْكَـلِ[3]

وفي هذا جعل لليل صلبا يمطى، وسدولا ترخى وقد أردف بها أعجازا وجعل له كلكلا قد ناء به فقد استعار جملة أركان الشخص وما يراه الناظر. " وبيت امرئ القيس عندي ليس من جيد الاستعارة ولا رديئه بل هو من الوسط بينهما، وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم قد أوضح بأن امرئ القيس لما جعل لليل وسطا وعجزا استعار له بعضه لأجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه الاستعارة مبنية على غيرها، ولم أرى أن أجعلها من أبلغ الاستعارات وأجدرها بالحمد والوصف"[4] ابن الأثير يناقش مسألة استعارة على أخرى معارضا ابن سنان الخفاجي الذي لم يقبل بناء استعارة على أخرى في بيت امرئ القيس قائلا: " لا يمنع أبدا أن تجيء استعارة مبنية على استعارة أخرى، وتوجد فيها المناسبة المطلوبة في الاستعارة

---

[1] إمرئ القيس ، تح :عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص34.

[2] المصدر نفسه ، ص 298.

[3] المصدر السابق، ص 33.

[4] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تع :عبد المعتال الصعيدي، 1952، ص137.

المرضية، ويستدل على ذلك بدليل علمي قوي حينما[1] يقول : فإنه قد ورد في القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس، مثل قوله تعالى:[وَضَرَبَ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةٌ مُطْمَئِنَةٌ يَأْتِهَا رِزْقَهَا رَغْدًا مِنْ كُلِ مَكَانْ فَكَفُرَتْ بِأَنْعَمِ اَللَّهْ فَأَذَاقَهَا لَبَاسَ اَلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ][2] فهذه ثلاث استعارات بينها من التناسب مالا خفاء فيه و إذا كان الأصل هو التناسب فلا فرق أن يوجد في استعارة واحدة أو في استعارة مبنية على استعارة"[3]، بالتالي ليست هناك مشكلة في بناء استعارة على استعارة، لأن ذلك لا عيب فيه المهم أن تحقيق هذه الاستعارات التناسب والإيحاء فيما بينها ويكون لها وقعها في النفس أي تؤدي وظيفتها التصويرية والبلاغية ولا تخل بالمعنى في شيء.

كذلك قول امرئ القيس:

فَبَاتَ عَلَيْهِ سِرْجُهُ وَلِجَامُــهُ وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ[4]

المجاز في قوله بات بعيني للدلالة على قوة ولعة وحبه لحصانه وكأنه بات في عينه أي كأنه يراه. وقول النابغة:

وَصَدْرُ أَرَاحَ اللَّيْلَ عَازِبٌ هَمُّــهُ تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ[5]

وفي عبارة " عازب همه" استعارة فقد شبه الهم وهو شيء معنوي بشيء مادي وهو الشخص العازب وذلك للدلالة على ما في العزوبية من وحدة وضيف ووحشة.

وقال مهلهل:

تَكْفِي فَوَارِسُ تَغْلِبُ اِبْنَةُ وَائِـلِ يَسْتَطْعِمُونَ المَوْتَ كُلَّ هُمَــامٍ

فالموت لا يستطعم فهذا مجاز وذلك للدلالة، على الحرب. وقول زهير:[1]

---

[1] أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة، ص99.

[2] سورة النحل، الآية 112.

[3] المصدر السابق، ص99.

[4] امرئ القيس، ص40.

[5] النابغة الذبياني، شر: حمدوا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص03.

إِذَا أَلْقَحْتَ حَرْبَ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تَمُرُّ النَّاسَ أَنْيَابَهَا عُصَلٌ

فقد استعار الناب يخص الحيوان المفترس، للدلالة على شدتها وقوتها. وقول أوس بن حجر:

وَإِنِّي اِمْرُؤٌ أَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ لَهَا نَابًا مِنَ الشَّرِّ أَعْصَلاَ

نفس الشيء في (رأيت لها نابا) فقد استعار للحرب الناب وذلك لما رأى في أن الناب تعبير على الحرب وبدايتها، و قول الشماخ:[2]

إِذَا الأَرْضُ تُوسَدُ أَبْرَدَيْهِ خُدُودَ جَوَارِي بِالرَّمْلِ عَيْنٌ

وقد استعار الوسادة والخد وفي ذلك استعارة وقال الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضْ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَاباَ[3]

يريد إذا سقط المطر رعيناه يريد النبت هو الذي يرعى، فالمطر لا يرعى والسماء لا تسقط بل السقوط خاص بالمطر، والمطر هو السبب في ظهور النبات " فأراد المطر لقربه من السماء ويجوز أن تريد بالسماء السحاب لأن كل ما أظلك فهو سماء، وقال " سقط" يريد سقوط المطر الذي فيه، وقال رعيناه والمطر لا يرعى، ولكن أراد النبت الذي يكون عنه، فهذا كله مجاز "[4]. وقال آخر:

وَمُهْمَةٍ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حَتَّى يَطْلُحُوا

فالسراب شيء غير ملموس شبهه بشيء مادي يسبح ومن هذا استعارة.

وقال أبو ذؤيب: وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظَفِارَهَا[5] والمنية ليس لها أظفار تنشب فالأظفار للشيء المفترس وفي هذا مجاز وقال أيضا:[1]

[1] زهير بن أبي سلمى، شر، حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص103.

[2] ديوان، الشماخ، ص94.

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص304.

[4] ابن رشيق، العمدة، ج1، ص266.

[5] ديوان الهذليين، دار الكتب، ص1 . 3

وَغدَاة رِيحُ قَدْ كَشَفَتْ وَقْرَة إِذَا أَصْبَحَتْ بِيدَ الشِّمَالِ زِمَامُهَا

" فاستعار الشاعر للريح الشمال يدا، و للغداة زماما إذا كانت الغالبة عليها وليست اليد من الشمال، ولا الزمام من الغداة"[2]، و قال أوس بن مغراء :[3]

يَشِبُ عَلَى لَؤُمُ الْفَعَالِ كَبِيرُهَا وَيَغْذِي بِثَدْيِ الْؤُمِ مِنْهَا وَلِيدُهَا

باستعارة الشيب للتعبير على اللؤم والثدي كذلك على سبيل الاستعارة. و قال آخر:

وَذَابَ لِلْشَمْسِ لُعَاْبٌ فَنَزَلَ

فالشمس ليس لها لعاب، وهذا على سبيل الاستعارة، وقول الشاعر:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءِ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ[4]

فالاستعارة في قوله (يريد الرمح) فقد شبه الرمح وهو شيء مادي بشيء معنوي وهو المراد عند الإنسان، ونحن ندرك أن الرمح وسيلة للقتال بين القبائل في القديم، فيريد بهذا قيام الحرب مع أبي براء، وفي قوله كذلك يرغب عن دماء بني عقيل أي الرغبة في إراقة الدماء والخصومة معهم، وقال أودودا:

وَقَدْ أَغْتَدِي فَي بَيَاضِ صَبَاحٍ وَأعْجَازُ لَيْلٍ مُوَلِّي اَلْذَنْبِ

قال للصباح بياض ولا لليل عجز وهذا على سبيل الاستعارة وفي بياض الصباح دلالة على طلوع النهار. و قول ذو الرمة:[5]

سَقَاهُ الْكُرَى كَأْسَ الْنُعَاسِ فَرَأْسَهُ لَدَيْنَ الْكُرَى مِنْ آَخِرْ الْلَيْلِ سَاجِدٌ

ويقول: قوله . سقاه الكرى . جيد وقوله . لدين الكرى . بعيد عندي وقد استعار السقي للكرى، وللنعاس الكأس وللدين الكرى على سبيل الاستعارة. وقال العباس:[1]

---

[1] المعلقات، ص158 .

[2] ابن رشيق، العمدة، ج1، ص269.

[3] الهذلين، الديوان، ص1 . 3.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص305.

[5] ذو الرمة، تح: عبد القدوس أبو صالح، دمشق، 1973 ص120.

قَدْ سَحَبَ الْنَاسُ أَذْيَالُ الْظَنُونِ بِنَا وَفَرَّقَ الْنَاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرَقًا

فَكَاذَبَ قَدْ رَمَى بِالْظَنِ غيْرَكُـمْ وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَهُ صِدْقًا.

فالاستعارة للظنون أذيالا ولا ذيل لها، والرمي للظن وهذا كله استعارة وقوله:[2]

يَكْسُو الْسُيُوفُ نُفوُسَ النَاكِثِينَ بِهَ وَيَجْعَلُ الهَامُ تِيجَانُ الْقِنَا الْذُبُلِ

(يكسو السيوف) والسيوف لا تكسي باستعارة للسيوف الكسي على سبيل الاستعارة.
وقوله:[3]

إِذَا مَا نَكَحْنَا الْحَرْبَ بِالْبَيْضِ وَالْقُنَا جَعَلْنَا الْمَنَايَا عِنْدَ دَاكَ طَلاَقُهَا

فشبه الحرب بالمرأة واستعار النكاح وذلك لشدة الحرب وقوتها. وقال أيضا:[4]

كَأَنَهاَ وَلِسَانُ الْمَاءِ يُقَلِبُــهَا عَقِيقُهُ ضَحِكَتْ فِي عَارِضِ بَرْدِ

دَارَتْ عَلَيْهِ فَزَادَتْ فِي شَمَائِلِهْ لِينَ الْقَضَيبِ وَلَحَظَ الْشَادِنُ الفَرْدِ

فاستعار اللسان للماء والضحك للحقيقة وهذه استعارة. وقال أبو النواس:[5]

مَا سَاقِنِي الْبِكْرُ الْتِي اِختَمَرَتْ بِخَمَارِ الْشَيْبِ فِي الْرَحْمِ

تُمِمَتْ الْشَبَــــابُ لَهـــــــــا بَعْدَ أَنْ جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ

فَهِيَ لِلْيَوْمِ الْذِي نَزَلَــــــــتْ وَهِيَ تِلْوَ الْدَهْرِ فِي الْقَدِيـمِ

شبه الخمر بالبكر أي من الصغر، واستعار للشيب خمار. وقوله:[6]

لاَ يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ فَدَهْرُ شِرْبِهَا النَّهَــارُ.

باستعارة للدهر الشراب ولا شراب له على سبيل الاستعارة. وقوله:

---

[1] العباس بن الأحنف، تح : عاتكة الخررجي،ا لقاهرة، 1954، ص113.

[2] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص810.

[3] المصدر السابق، ص811.

[4] العباس بن الأحنف، ص811.

[5] أبو نواس، تح: بهجت الحديثي، بغداد، (د، ط) ،1975، ص324.

[6] المصدر السابق، ص274 .

وَلَمَا تُوَفِيَ اللِيْلُ جَنْحًا مِنْ الْدَجَى

فقد استعار لليل جنحا له. وقوله:

فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُ الْزَمَانِ مُقْتَبِلاً

فاستعارة للزمان وجه ولا وجه له. وقوله:

فَانَّ مَطْيَهُ الْجَهْلُ الْشَبَابْ

فجعل الجهل مطيه ولا مطيه له وهذا استعارة. وقوله:

كَأَنَ الْشَبَابَ مَطْيَةُ الْجَهْلِ

فجعل للشباب مطية ولا مطية له، وقوله:

يَضْحَكُ الْدَهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفَةٍ كَأَنَ أَيَامَهُمْ مَنْ أَنْسهَا جَمْعٌ

فاستعار للدهر الضحك وفي هذا استعارة. وقوله:

أَيَامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللِيَالِي كُلُهَا اِسْحَارٌ.[1]

فقد استعار للأيام أطراف ولا أطراف لها وهذا على سبيل الاستعارة. ويقول البحتري:[2]

فَحَاجِبُ الْشَمْسِ أَحْيَانً يُضَاحِكُهَا وَرَّيْقُ الْغَيْثَ أَحْيَانًا يُنَارِكُهَا.

فاستعار الشمس حاجب ولا حاجب لها، ويقصد السحاب الذي يحجب الشمس، وريق الغيث فاستعار للغيث ريقا ويقصد به المطر ومن رديء الاستعارة قول علقمة (الفحل)[3].

وَكُلُ قَوْمٍ وَإِنْ عَزُوا وإِنْ كَرَمُوا عَرِيفُهُمْ بَأثافِي الْدَهْرِ مَرْجُومٌ

فجعل للدهر أثافي وهذا على سبيل الاستعارة، أثافي الدهر: بعيدا جدا يقول الناقد.

وقول ذي الرمة:[4]

يَعِزُ ضِعَافُ الْقَوْمِ عِزَّةُ نَفْسِهِ وَيَقْطَعُ أَنْفُ الْكِبْرِيَاءِ مِنَ الْكِبَدْ

[1] أبو نواس، ص275 . 277.

[2] البحتري،شر: يوسف الشيخ محمد، منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د،ط) ج2، ص319.

[3] علقمة الفحل: ديوانه: المحمودية القاهرة، 1353هـ ص 14.

[4] ذو الرمة، ص167.

فقد جعل للكبرياء أنف ولا أنف له هذا على سبيل الاستعارة. وقول خويلـد الهذلي أو غيره:[1]

تُخَاصِمُ قَوْمٌ لاَ تَلْقَى جَوَابَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفِ لِحْيَتِكَ الْيَدُ.

" أي قبضت بيدك على مقدم لحيتك كما يفعل النادم أو المهموم وأنف كل شيء مقدمة وأنوف القوم سادتهم، والأنف في هذا البيت هجين الموقع كما نرى وقد وقع في غيره أحسن موقع"[2] وهو قول الشاعر:[3]

إِذَا أَشَمَ أَنْفُ الْضَيْفِ الْحَقُ بَطْنِهِ مِرَاسُ اَلْأَوَاسِي وَاِمْتِحَانْ الْكَرَائِمِ

ويقولون: أنف الريح... وأنف النهار... ورعينا أنف الربيع أي أوله، وقول الأخطل:

أَكْسِيرُ هَذَا الْخَلْقِ يَلْقِي وَاحِدَ مِنْهُ عَلَى أَلْفٍ فَيُكْرِمُ خَيْمَـــه

وقول أبي تمام: حَتَى اَتقَتْهُ بِكِيمْيَاءٍ الْسُوّدَدِ.

" فلا ترى شيئا أبعد من أكسير الخلق وكيمياء السدود... وقد أكثر أبو تمام من هذا الجنس اعتزاز بما سبق منه في كلام القدماء مما ذكره فأسرف فنفى عليه ذلك وعيب به وتلك عاقبة الإسراف" فأغلب استعارات أبي تمام جاءت بعيدة وذلك ما يلمس فيه التكلف والمبالغة الممقوتة، والتمويه في التصوير، وقول أبو تمام:

كُلُوا الْصَبْرَ مُرًا وَشْرَبُوا مَائَكُمْ أَثَرْتُمْ بِعَيْرِ الْظُلْمِ وَالْظُلْمُ بَارِكَ.

"وقد جني أبو تمام على نفسه بالإكثار من هذه الاستعارات وأطلق لسان عايبه وأكد الحجة على نفسه واختيارات الناس مختلفة بحسب اختلاف صورهم وألوانهم" فقد شبه الظلم وهو شيء معنوي، بشيء يؤكل ويشرب واجعل الظلم بعير وهذا على سبيل الاستعارة، وأنشد أبوالعنبس:

صِرَامُ الْحُبِ عَشَشَ فِي فُؤَادِي وَحَضَنَ فَوْقَهُ طَيْرُ الْبُعَــادِ

[1] الهذليين، الديوان، ص117.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص333.

[3] دي الرمة، ص221.

وَقَدْ نَبَذَ الْهَوَى فِي دَنَّ قَلْبِــي فَعَرْبِدَتْ الْهُمُومُ عَلَى فُؤَادِي

فقد شبه الحب وكأنه طير عشش في قلبه، وحضن في هذا القلب البعاد، وشبه الهموم بشيء مادي معربد وهذا على سبيل الاستعارة.

من خلال ما سبق نستنتج" أن أهمية الصور الاستعارية ترجع إلى قدرتها على الإيحاء والإيماء واعتمدها على التلميح بدل التصريح، ويعني الإيحاء تلك الطاقة المعنوية المتولدة من البنية الفنية للصور الشعرية الجزئية في إطارها الكلي، وتعمل على توسيع رقعة الظلال التي تسبح فيها المعاني التي يريد الشاعر تصويرها أو بثها، وقد تتعدد بها مستويات الفهم والتفسير"[1]

" وتتمكن الاستعارة من امتلاك الطاقات الإيحائية إذا ارتقت إلى مشارف الرمز أو امتزجت به وتعاضدت معه لصنع تأثيرها الفني والنفسي، كما تلعب الوحدات الصوتية والإيقاعات الموسيقية، والحيل الغمسية الأخرى دورها في تهيئة أذهان المتلقين ونفوسهم وتوسيع مداركم لتكون قادرة على مواكبة تلاك المعاني غير المحددة أو المعلومة الحجم.[2]"

الناقد من خلال تناوله للاستعارة والمجاز في هذا الفصل، حدد مفهوما دقيقا للاستعارة وتحدث عن أغراضها في هذا المفهوم، بعكس المجاز الذي صرح به إلا في بعض تعليقاته على الأمثلة الواردة فيقول: (وهذه كلها استعارات ومجازات) وأبو هلال العسكري في تناوله للأمثلة وتعليقه على الاستعارة يفضل ما يدرك بالحواس على ما يدرك بالعقول، وذلك لما في الإدراك بالحواس من قوة وبيان، وكذلك تركيزه على الانسجام بين المشبه والمشبه به ونستكشف من خلال دراسة الناقد للاستعارة والمجاز أنه أكثر من الشواهد الأدبية شعرها ونثرها دون التعليق الكاف والتحليل الوافي ففي جل الأمثلة نجده لا يطلق حكما واضحا ولا تفصيلا للقواعد والأقسام، والإقلال من البحث في المفاهيم لذلك نقول: " أن الملاحظ على

[1] يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، الأهلية للنشر المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1/ 1997، ص225.

[2] المرجع السابق، ص 227.

أبي هلال العسكري يعطينا الشاهد الأدبي، يشرحه أو ينقده في سرعة. لهذا نعتبر باب الاستعارة عند أبي هلال معرض أدبيا للتعبير المصور بالاستعارة في الشعر العربي ونثره"[1].

[1] مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد منشأة المعارض، الإسكندرية،(د، ط)، 1985 ص 147.


الخاتمة

الخاتمـــــــة:

ليس البلاغة بأسرها إلا قصة الذوق العربي والفطرة العربيـة في أوجـها، وما المصطلح إلا الوسيلة المثلى للتعبير عنها، ونرى أن الكتابات النقدية والبلاغية نشطت في القرن الرابع الهجري، وكانت تخوض مباحث البلاغة وتدلي بنظرة فاحصة ودقيقة، وهذا ما تجلى في مؤلفات النقاد القدامـى، وأبو هلال العسكري يعد حلقة من سلسلة العلماء الذين توفروا على الذوق الأدبي والحس النقدي المرهف في دراسته للبيان العربي فتأثر بسابقيه وترك في لاحقيه، ومن خلال تناولنا للمصطلح البلاغي عند أبو هلال العسكري ووقوفنا على تحليل بعض الشواهد في كتابه وخص ذلك باب البديع، وجدنا أنفسنا ماثلين أمام عدة استنتاجات وملاحظات تمثلت في:

- ✓ يعتبر المصطلح الوسيلة المثلى للتواصل وضبط العلوم، وأداة لتوحيد الفكر.
- ✓ لكل علم مصطلحاته الخاصة، وذلك لتفادي فوضى المصطلحات وتداخلها في بعضها البعض.
- ✓ اهتمام النقاد القدامى بالمصطلحات البلاغية، وتمثل ذلك في الكم الهائل من المؤلفات عبر قرون متفاوتة.
- ✓ تضاربت الآراء وتشابهت من قبل النقاد في تناول المصطلحات البلاغية.
- ✓ النقاد القدامى تناولوا تقريبا نفس المصطلحات إلا بعض الإضافات التي اقتصرت على القليل منهم.
- ✓ تتشابه الشواهد التي استدل بها النقاد، وذلك دليل على اعتمادهم المرجعية نفسها.
- ✓ تأثر النقاد القدامى وخاصة نقاد القرن الرابع هجري بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا ما نلمسه في الشواهد المعتمدة في تحليل المصطلحات.
- ✓ جل النقاد القدامى مارسوا النقد والتحليل في تناول للمصطلحات البلاغية بدرجات متفاوتة.

- ✓ تأثر أبو هلال العسكري مما سبقوه في مفهومه للاستعارة إلا أن كانت لديه بعض الإضافات.
- ✓ اعتماده على التراث النقدي والبلاغي.
- ✓ دراسة أبو هلال العسكري للاستعارة كانت أكثرها شواهد، والجانب النظري في باب الاستعارة قليل، وهذا ما يدل على أن الناقد وجهته لم تكن وضع القواعد النظرية، وإنما اتجهت عنايته إلى الجانب التطبيقي.
- ✓ الناقد في تحليله للشواهد، قائما على خطوات تتكرر في معظم تحليلاته وهذا دليل على أن منهجه في تحليل الاستعارة ثابت لم يعدل عنه.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

أ /المصادر:

1. أبو هلا ل العسكري، الصناعتين، تح:مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1981م.

ب المراجع:

2. ابن المعتز أبو العباس عبد الله، البديع، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ط1، 1990م.
3. ابن رشيق العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، ج1.
4. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، 1952م.
5. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
6. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة.
7. أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، شر: أحمد حسن سبع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1994م.
8. إحسان عباس، تاريخ النقد عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان،د،ت ،د،ط.
9. أحمد عبد السيد الصاوي، مفهوم الاستعارة، منشأة المعارف، الإسكندرية، د، ط، 1988.
10. أحمد عبكل، المصطلح النقدي والبلاغي عند الآمدي، دار مكتبة حامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2010م.
11. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات النقد العربي القديم مكتب لبنان، ناشرون، بيروت ط1، 2001.
12. الآمدي، الموازنة في شعر أبي تمام والبحتري، تح: أحمد صقر، دار المعارف، مصر، د،ت، ط2

13. التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح، لطفي عبد البديع، القاهرة ، د،ط ،1963م.
14. ثعلب قواعد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، مصر، د،ط، 1948م.
15. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الناشر، المركز الثقافي ط2، د،ت.
16. الجاحظ:
- ✓ الحيوان، تح:عبد السلام هارون، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة(د،ط)،1985.
- ✓ البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1 ج1.
17. عبد القاهر الجرجاني:
- ✓ أسرار البلاغة، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، ط1، 2001.
- ✓ دلائل الإعجاز، تح: محمد عبده ومحمد محمود الشنقياطي، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، د،ط (د،ت).
18. الرازي، محمد بن أبي بكر، نهاية في دراسة الإعجاز، تح: إبراهيم السامرائي محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان، د، ط، د،ت.
19. الرماني أبو الحسن بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، تح: محمد زغلول سلام، دار المعارف، د،ط د،ت.
20. سعد سليمان حمودة، دروس في البلاغة العربية الجامعية، الإسكندرية، د،ط، 1999م.
21. السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2000م.
22. السيوطي، الزهر في علم اللغة وأنواعها، دار الجيل، بيروت، د،ط د،ت.
23. الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين، أربد، عالم الكتب الجديد، عمان، ط1 ،2009م.
24. الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: نصر الدين تونسي، شركة بن باديس للكتاب، ط1، 2009م.

25. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، الناشر دار المعارف، النيل، القاهرة، ط9، د، ت.
26. الطاهر حليس، اتجاهات النقد العربي وقضاياه في القرن الرابع الهجري، مركز منشورات جامعة باتنة، مجمع العلوم والتكنولوجيا، باتنة الجزائر، د،ط د،ت.
27. عبد الرحيم العباسي، المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ط1، دار الكتاب العالمي، عمان، جوهرة القدس ط1، 2006م.
28. عبد السلام المسدي:
- ✓ المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم عبد الله، للنشر والتوزيع، تونس، د، ط د،ت.
- ✓ قاموس اللسانيات، الدار العلمية للكتاب، تونس، د،ط، 1984م.
29. علي القاسمي، المصطلحية، مقدمة في علم المصطلح، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، العراق، د، ط، 1985م.
30. قدامه بن جعفر، نقد الشعر تح: كمال مصطفى مكتبة الخانجي، القاهرة ط5، د، ت
31. المبرد أبو الحسن محمد بن يزيد، الكامل، تح: أحمد محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د،ط، 2000م.
32. محمد زغلول سلام، تاريخ النقد والبلاغة حتى القرن الرابع، الناشر، منشأ المعارف الإسكندرية د، ط، 2002م.
33. محمد محمد أبو موسى، البلاغية القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثرها في الدراسات البلاغية، الناشر مكتبة وهبة، دار التضامن القاهرة، ط2، 1988م.
34. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص سوريا، ط7، 1999م.
35. يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، الدار العلمية للعلوم ناشرون، ط1، 2008م.
36. ابن الأثير، المثل السائر، تع:أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة للنشر، ج2، ط2، د،ت.

ديــــــــوان:

37. أبو تمام، تح:محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر ،ط3،د،ت.

38. أبو نواس، تح:د .بهجت الحديثي، بغداد، د،ط، 1975م.

39. امرئ القيس، شر: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2 ،2004م.

40. البحتري، شر: يوسف الشيخ محمد، منشورات محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1،(د،ط)2000م.

41. ذو الرمة، تح:عبد القدوس أبو صالح، دمشق، د،ط، 1973م.

42. زهير بن أبي سلمى، شر:حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت،ط2، 2005م.

43. العباس ابن الأحنف، تح:عاتكة الحزرجي، القاهرة، د،ط، 1954م

44. علقمة الفحل، المحمودية، القاهرة، 1353هـ.

45. النابغة الذبياني، شر:حمدو، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.


فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفصل الثاني: الاستعارة في كتابات أبي هلال العسكري